خلاصة أقوال المفسرين
حول سورة يس

إعـداد وتقـديم

د٠ محمد زين العابدين مصطفى بدوى

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات

بسوهاج ــ جامعة ازهـر

خلاصـــة أقـــوال المفســرين

حـــول ســـورة « يـــس »

المقـــــدمة

الحمـد للـه رب العالمين ، والصـلاة والسـلام على أشـرف الأنبيـاء والمرسلين ، سيدنا محمـد وعلى آلـه وصحبه أجمعين ، أمـا بعـــد :

فـان القـرآن الكريم سـبيل السعادة وطريق النجـاة ، ومن واجب المسلمين أن يقـرؤوه بامعـان ، ويتدبروا معانيه ، ويدركـوا أسـراره ويعمـلوا بمقتضى ما فيـه عمـلا بقوله تعالى : « **كتـاب أنزلناه إليك مبـارك ليتدبروا آياته وليتذكر أولـوا الألبـاب** »(١) وإذا كـان المسلمون قـد أضطرتهم الدنيـا ليشغلوا أوقـاتهم فى تحصـيل معاشهم ، وضاقت أيامهم عن الرجـوع الى كتب التفسـير الكبـيرة ، التى خـدم بهـا أسلافنا كتـاب الله تعـالى توضـيحاً للغاية ، وإظهاراً لاعجـازه ، وتفصيلا لأحكامه ، وابـرازاً لمـا حواه من تشريع وتهذيب ، وإحـكام وأخـلاق ، وتربيـة وتوجيـه ... فـان من واجب أهـل العـلم أن يبذلوا جهدهم ليتيسر فهمـه على النـاس بأسلوب واضـح ، وبيـان ناصـع ، لا حشـو فيـه ، ولا تطويل ، ولا تعقيـد ولاتكليف ، وأن يبـرزوا ما فى القـرآن من روعـة الاعجـاز والبيـان .

---

(١) سورة ص : آيـة ٢٩ .

ولقد وفقنى الله سبحانه ـ وله الحمد والمنة ـ لاخراج هذا البحث وفيه جمعت أقوال المفسرين حول سورة « يس »

وقد حرصت فيه على ذكر أصح الأقوال فى التفسير مع التزام الاختصار الشديد وذكر المأثور والمعقول من أقوال كبار المفسرين ناسباً كل قول لصاحبه ما أمكن الى ذلك سبيلا • وسوف يكون منهجنا فى البحث على النحو التالى :

أولا : تقديم للسورة الكريمة بينت فيه :

(أ) مكان نزولها وعدد آياتها •

(ب) فضلها •

(جـ) سبب التسمية •

(د) عرض لأهم ما اشتملت عليه من أهداف •

ثانياً : قسمت السورة الكريمة الى عدة مقاطع وكان كل مقطع يشتمل على عدة آيات تتحدث حول موضوع واحد فكانت مقاطعها على النحو التالى :

(أ) الاشارة الى شأن القرآن العظيم والرسول الكريم وموقف قومه منه وكانت مساحة هذا المقطع من الآية (١) الى الآية (١٢) •

(ب) قصة أصحاب القرية • ومساحته من الآية (١٣) الى الآية (٣٢) • •

(جـ) بعض مظاهر القدرة الالهية • واحتل هذا المقطع من الآية (٣٣) الى الآية (٤٤) •

(د) الكفـار وشبهاتهم حـول البعث • ويشغل من الآية (٤٥) الى الآيـة (٥٤) •

(هـ) أصحاب الجنـة وأصحاب النـار • وذلك من الآيـة (٥٥) الى الآيـة (٦٥) •

(و) فضل الله وحلمـه على من عصـاه • وذلك من الآية (٦٦) الى الآيـة (٦٨) •

(ز) تنـزيه الرسول والقـرآن عن الشعر واثبـات آثـار الربوبية الموجبة للاقرار بالوحدانية • وذلك من الآيات (٦٩) الى (٧٦) •

(ح) مناقشة الكافرين فى إنكارهم للبعث ويشتمل على الآيات من (٧٧) الى (٨٣) نهـاية السـورة •

ثالثـاً : اكتفيت بذكـر أول المقطـع وآخـره دون كتابة الآيات كلهـا وذلك لسببين :

أولهما : إعتمـاداً منى على أن معظـم النـاس يحفظون سورة « يس » وذلك لمـا لهـا من فضل عظيـم ورد فى كثـير من الأحـاديث النبوية والتى سأذكرها فيمـا بعـد •

وثانيهما : طـلب الاختصار وخاصـة فى مسـاحة البحث الذى سينشر فى مجـلة من مجـلات جامعـة الأزهـر •

رابعـاً : بعـد ذكـر كل مقطع من المقاطع التى سبقت الاشـارة اليهـا وتحـديد الآيات التى تتحـدث عنـه • كنت أبـدأ أولا بشرح المفـردات ثم الاشـارة الى أهـم وجـوه البـلاغة من بيـان ومعان وبديـع بقـدر موجـز مبسـط بحيث يعين هـذا القـدر عـلى فهـم بعض أسرار هـذه الآيات دون تعمق طلبـاً لليسر والسهولة ثم أذكـر مناسبة كـل مقطـع لمـا قبـله وبعـد ذلك أذكـر سـبب

النزول إن وجـد ثم أتنـاول آيات المقطع بالتفسير الموجز مستشهداً بالمـأثور والمعقـول من أقـوال أئمـة المفسرين ناسباً كـل قـول الى صـاحبه ما أمكن •

خامساً : خاتمة البحث وبينت فيهـا الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة وأهـم الأغراض التى تناولتها وعقبت بعد ذلك بذكر المراجع • هـذا وأسـأل الله أن يجعله خالصـاً لوجهه وأن يجعله مقبـولاً ، وصلى الله على سـيدنا محمـد ••

سـورة « يـس »

(آ) مكـان نزولهـا وعـدد آياتهـا :

هى ثـلاث وثمـانون آيـة . وهى مكيـة . قـال القرطبى : بالاجمـاع إلا أن فـرقة قالت (ونكتب ما قدمـوا وآثارهم) نزلت فى بنى سـلمة من الأنصـار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جـوار مسجد رسـول الله ﷺ ، وسيأتى بيـان ذلك . وأخرج ابن الضريس والنحـاس وابن مردوية والبيهقى فى الدلائل عن ابن عبـاس قـال : سـورة يس نزلت بمكـة وأخـرج ابن مردوية عن عائشـة مثـله(١) .

(ب) فضـلها :

قـال ﷺ « إن لـكل شىء قلبـاً وقلب القـرآن يس ، وددت أنهـا فى قلب كـل إنسـان من أمتى » أخرجه البـذار وقـال من حـديث أبى هريرة ــ رضى الله عنـه ــ « من قـرأ يس فى ليـلة إبتغـاء وجـه الله غفـر لـه فى تلك الليـلة » أخرجه الدارمى وابن مردوية والبيهقى فى الشعب . وقـال ابن كثـير إسناده جيـد(٢) .

وأخـرج الطبرانى وابن مردوية قـال السيوطى بسند ضعيف عن أنس قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « من داوم على قـراءة يس كـل ليـلة ثم مـات مـات شـهيداً » .

---

(١) فتـح التقدير للشوكانى جـ ٤ ص٣٥٨ ، والقرطبى جـ ١٥ ص٣ ، ٤

(٢) مختصر تفسير ابن كثـير جـ ٣ ص١٥٤ .

وروى الامـام أحمـد : عن معقـل بن يسـار رضى الله عنه : قـال رسول الله ﷺ : « أقرأوها على موتاكم » يعنى يس(٣) . ولهـذا قـال بعض العلمـاء : من خصائص هـذه السورة أنهـا لا تقـرأ عند أمـر عسـير إلا يسـره الله تعـالى ، وكـأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمـة والبركة ، وليسهل عند خروج الروح والله تعالى أعلم(٤) .

(ج) سـبب التسـمية :

سميت سـورة « يس » بهـذا الاسـم لأن الله تعالى افتتـح السورة الكريمة بهـا ، وفى الافتتاح بهـا إشارة اعجـاز القـرآن الكريم حيث إنـه سبحانه بين أن القـرآن الكريم مركب من هـذه الحروف التى يتـألف منهـا كلامهم ومع ذلك لقـد عجـزوا عـن الأتيـان بمثـله ويـرى بعض المفسرين أن معظـم أسماء السـور توقيفى وخاصـة ما وردت تسميته على لسـان الرسول ﷺ ومن هـذا النـوع سـورة « يس » فقـد ورد أسمها فى كثـير من الأحـاديث النبـوية وقـد أشرت الى بعضها عند الكـلام على فضل السـورة . والله أعـلم .

(د) عـرض لأهـم ما اشتملت عليه من أهـداف :

لقـد تناولت مواضيع أساسية ثلاثـة وهى : الايمـان بالبعث والنشـور ، وقصـة أهـل القـرية ، الأدلـة والبراهين على وحدانية رب العـالمين .

١ ـ ابتدأت السـورة الكريمة بالقسـم العظيم على صـحة الوحى وصـدق رسـالة محمـد ﷺ ثم تحدثت عن كفـار قـريش

---

(٣) أخرجه احمـد ورواه ابـو داود والنسائى وابن ماجـة .
(٤) مختصر تفسـير ابن كثـير للصابونى ج ٣ ص١٥٤ .

الذين تمادوا فى الغى والضلال وكذبوا سيد الرسل محمد ابن عبد الله فحق عليهم عذاب الله وانتقامه .

٢ ــ ثم ساقت قصة أهل القرية « أنطاكية » الذين كذبوا الرسل لتحذر من عاقبة التكذيب بالوحى والرسالة ، على طريقة القرآن فى استخدام القصص للعظة والاعتبار .

٣ ــ وذكرت موقف الداعية المؤمن « حبيب النجار » الذى نصح قومه فقتلوه ، فأدخله الله الجنة ، ولم يمهل المجرمين بل أخذهم بالصيحة .

٤ ــ وتحدثت السورة عن دلائل القدرة والوحدانية ، فى هذا الكون العجيب ، بدءاً من مشهد الأرض الجرداء تدب فيها الحياة ، ثم مشهد الليل ينسلخ عنه النهار ، فاذا هو ظلام دامس ، ثم مشهد الشمس الساطعة تدور بقدرة الله فى فلك لا تتخطاه ، ثم مشهد القمر يتدرج فى منازله . ثم مشهد الفلك المشحون يحمل ذرية البشر الأولين ، وكلها دلائل باهرة على قدرة الله جل وعلا .

٥ ــ وتحدثت عن القيامة وأهوالها ، وعن نفخة البعث والنشور ، التى يقوم الناس فيها من القبور ، وعن أهل الجنة وأهل النار ، والتفريق بين المؤمنين والمجرمين فى ذلك اليوم الرهيب ، حتى يستقر السعداء فى روضات النعيم ، والأشقياء فى دركات الجحيم .

٦ ــ وختمت السورة الكريمة بالحديث عن الموضوع الأساسى ، وهو موضوع البعث والجزاء وأقامت الأدلة والبراهين على حدوثه .

الاشـــارة إلى شـــأن القـــرآن العظيـــم والرســـول الكـــريم وموقـــف قـــومه منـــه

الآيـــات التى تشـــير الى هـــذا الموضوع ، قـــوله تعـــالى : « يس (١) والقرآن الحـــكيم (٢) ... إلى قوله وكـــل شىء أحصيناه فى إمـــام مبيـــن » سورة يس من الآية ١ الى ١٢

المفـــردات :

« يس » تقـــرأ هـــكذا : يـــآس بمـــد اليـــاء وإدغـــام نـــون الســـين فى الـــواو التى بعدهـــا ، وقـــرأ بعضهم ياســـين باظهـــار النـــون ساكنة ، وبعضهم أظهـــر حـــركة النـــون بالضـــم أو بالفتـــح أو بالكســـر ، ولكل وجـــه وتخريج فى الحـــكم الاعـــرابى .

« حـــق القـــول » ثبت فـــلا يبـــدل(٥) .

« أغـــلالا » جمـــع غـــل وهـــو القيـــد الذى يوضع فى اليـــد ، وقـــد تشـــد بـــه اليـــد مع العنق .

« الأذقـــان » جمـــع ذقـــن وهـــو ملتقى الفكين الأسفلين .

« مقمحون » رافعـــوا الرؤوس مع غـــض البصـــر ، قال أهـــل اللغـــة : الاقمـــاح : رفـــع الرأس وغض البصـــر يقال : أقمـــح البعـــير إذا رفـــع رأســـه عند الحـــوض وامتنـــع من الشرب(٦) ، قـــال بشـــر يصـــف سفينه :

---

(٥) التفسير الواضـــح ج ٢٢ ص٨٢ .

(٦) انظـــر القاموس المحيط مـــادة قمـــح .

ونحـن عـلى جوانبهـا قعـود
نغض الطـرف كالابـل القماح(٧)

« سـداً » السـد : الحاجـز والمـانع بين الشيئين .

« وآثارهم » المـراد ما خلفـوه وراءهـم من خـير أو شـر .

المبـاحث البلاغيـة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوهـاً من البيـان والبديع نوجزهـا فيمـا يـلى :

١ ـ التأكيد بأكثـر من مؤكـد لأن المخاطب منـكر مثـل « إنك لمـن المرسلين فقـد أكـدت بـ « القسـم » و « إن » و « اللام » . وقـوله « إنـا جعلنـا فى أعناقهم ... الآيـة » تقرير وتعليل لمضمون الآيـة السابقة لذلك فصـل بين الجملتين .

٢ ـ الاستعارة التمثيلية « إنـا جعلنـا فى أعناقهم أغـلالا ... » الآيـة شـبه حـال الكفـار فى امتناعهم من الهـدى والايمان بمـن غـلت يـده الى عنقـه بالسلاسل والأغـلال فأصـبح رأسـه مرفوعاً فـلا يستطيع خفضا لـه ولا التفـاتا ، وبمن سـدت الطـرق فى وجهـه فـلم يهتـد لمقصوده ، وذلك بطريق الاستعارة التمثيلية .

٣ ـ الطبـاق « من بين أيديهـم .. ومن خلفهـم » .

٤ ـ طبـاق السلب أأنذرتهم أم لم تنذرهـم .

٥ ـ الجنـاس الناقص نحن نحيى المـوتى لتغير بعض الحروف .

---

(٧) تفسير الامـام الطبرى جـ ١٥ ص٨ .

تفسير الآيات

« يس » الحروف المقطعة فى أوائل السور الكريمة للتنبيه على إعجاز القرآن ، وأنه مصوغ من جنس هذه الحروف الهجائية التى يعرفونها ويتكلمون بها ؛ ولكن نظمه البديع المعجز آية على كونه من عند الله(٨) • وقال ابن عباس : معنى « يس » يا إنسان فى لغة طىء ، وقيل : هو اسم من أسماء النبى ﷺ بدليل قوله بعده « إنك لمن المرسلين » وقيل معناه : يا سيد البشر قاله أبو بكر الوراق(٩) • « والقرآن الحكيم » قسم من الله تعالى بالقرآن ، والحكيم معناه المحكم ، الذى لا يلحقه تغيير ولا تبديل ، ولا يعتريه تناقض أو بطلان • قال القرطبى : أحكم فى نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل(١٠) • وقال أبو السعود : أى المتضمن للحكمة أو النـاطق بالحكمة من حيث نظمه المعجز ، المنطوى على بدائع الحكم(١١) ••

والخلاصة : فقد أقسم تعالى بهذا الكتاب المحكم ، الذى بلغ أعلى طبقات البلاغة ، على أن محمداً رسوله ، وفى المعجز فى نظمه وبديع معانيه ، المتقن فى تشريعه وأحكامه ؛ هذا القسم فيه التعظيم والتفخيم لشأن الرسول ما فيه « إنك لمن المرسلين » جواب القسم أى انك يا محمد لمن المرسلين من رب العالمين لهداية الخلق • قال ابن عباس : قالت كفار

---

(٨) انظر تفصيل البحث حول الحروف المقطعة من اول سورة البقرة . من فتح القدير ج ١ ص٢٩ ــ ٣١ .
(٩) تفسير القرطبى ج ١٥ ص٤ .
(١٠) تفسير القرطبى ج ١٥ ص٥ .
(١١) تفسير ابى السعود ج ٤ ص٢٤٧ .

قـريش : لست يا محمـد مرسـلا ، وما أرسلك الله الينـا ، فأقسم الله بالقـرآن المحـكم أن محمـداً من المرسلين(١٢) « على صراط مستقيم » أى على طـريق ونهـج مستقيم . لا انحراف فيـه ولا اعوجاج ، هـو الاسلام دين الرسـل قبلك ، الذين جـاءوا بالايمـان والتوحيد . قـال الطبرى : أى على طـريق لا اعوجاج فيـه من الهـدى وهـو الاسـلام كمـا قـال قتـادة(١٣) والتنكير للتفخيم والتعظيـم(١٤) « تنزيل العـزيز الرحيـم » أى هـذا القـرآن الهـادى المنـير ، تنزيل من رب العـزة جـل وعـلا ، العـزيز فى ملـكه ، الرحيـم بخلقـه « لتنـذر قومـاً ما أنـذر آباؤهـم » أى لتنـذر يا محمـد بهـذا القـرآن العـرب ، الذين ما جاءهـم رسـول ولا كتـاب ، لتطاول زمن الفتـرة عليهـم ، والمـراد بالانذار تخويفهم من عـذاب الله « فهـم غافلون » أى فهـم بسـبب ذلك غافلون عن الهـدى والايمـان ، يتخبطون فى ظلمات الشرك وعبـادة الأوثان ... ثم بين تعـالى استحقاقهم للعـذاب باصرارهم عـلى الكفـر والتكذيب فقـال « لقـد حق القـول على أكثـرهم فهـم لا يؤمنـون » اللام موطئـة للقسـم أى والله لقـد وجـب عـذاب النـار على أكثـر هـؤلاء المشركين ، بسـبب إصرارهم على الكفـر والانكـار ، وعـدم تأثرهم بالتذكير والانذار ، فهـم لذلك لا يؤمنون بمـا جئتهـم بـه يا محمـد .. ثم بين تعـالى سبب تركهـم الايمان فقـال « إنـا جعلنـا فى أعناقهم أغـلالا فهى الى الأذقان فهـم مقمحـون » تمثيـل وتصوير لحـال المشركين فى ضلالهم بحـال الذى جعـل فى يـده غـل وجمعت يـده إلى عنقـه ، فبقى رافعـاً رأسه

---

(١٢) تفسـير القرطبى جـ ١٥ ص٥ وقـد نقـله عن القشيرى .
(١٣) تفسـير الامـام الطبرى جـ ٢٢ ص٩٧ .
(١٤) الانتصاف على الكشاف جـ ٤ ص٢ .

لا يخفضه . قال فى الجلالين : وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يزعنون للايمان ، ولا يخفضون رؤوسهم له(١٥) . قال ابن كثير : ومعنى الآية : إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء ، كمن جعل فى عنقه غل ، وجمعت يداه مع عنقه تحت ذقنه — والذقن : مفرد الأذقان . قال الطبرى : والذقن مجمع اللحيين(١٦) — فارتفع رأسه فصار مقمحاً ، والمقمح هو الرافع رأسه . واكتفى بذكر الغل فى العنق عن ذكر اليدين ، لأن الغل إنما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق(١٧) . وقال أبو السعود : مثل حالهم بحال الذين نهلت أعناقهم فهى الى الأذقان أى فالأغلال منتهية الى أذقانهم ، فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ، ولا يعطفون أعناقهم نحوه ، ولا يطأطئون رؤوسهم ، غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق ، أو ينظرون الى جهته(١٨) . وفى التفسير الواضح قال الدكتور / محمد محمود حجازى عند هذه الآية إن الآية حقيقة وليس فيها « استعارة » وانما هذا تصوير لهم يوم القيامة لقوله تعالى : **« إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون (١٩) »**(٢٠) . **« وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً »** . قال أبو السعود وهذا تتمة للتمثيل وتكميل له أى وجعلنا من أمامهم سداً عظيماً ، ومن ورائهم سداً كذلك « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » أى فغطينا بهما أبصارهم

---

(١٥) تفسير الجلالين جـ ٣ ص٣١٨ .
(١٦) مختصر تفسير الطبرى لابنى يحيى التجنى بحاشية المصحف الشريف ص٤٤٠ .
(١٧) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص١٥٥ .
(١٨) تفسير أبى السعود جـ ٤ ص٢٤٨ .
(١٩) سورة غافر : آية ٧١ .
(٢٠) التفسير الواضح جـ ٢٢ ص٨٤ .

فهم بسبب ذلك لا يبصرون شيئاً أصلا ، لأنهم أصبحوا محصورين بين سدين هائلين ، وهذا بيان لكمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين فى مطمورة الغى والجهالات ، محرومين عن النظر فى الأدلة والآيات(٢١) ، قال المفسرون : وهذا كله تمثيل لسد طرق الايمان عليهم ، بمن سدت عليه الطرق فهو لا يهتدى لمقصوده(٢٢) « وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » أى يستوى عندهم إنذارك يا محمد وتخويفك لهم وعدمه ، لأن من ختم على عقله ظلام الضلال ، وعشعشت فى قلبه شهوات الطغيان ، لا تنفعه القوارع والزواجر « لا يؤمنون » أى فهم بسبب ذلك لا يؤمنون ، لأن الانذار لا يخلق القلوب الميتة ، إنما يوقظ القلب الحى المستعد لتلقى الايمان ، وهذا تسلية له ﷺ وكشف لحقيقة ما انطوت عليه قلوبهم من الطغيان « إنما تنذر من اتبع الذكر » أى انما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن وعمل بما فيه « وخشى الرحمن بالغيب » أى وخاف الله دون أن يراه • قال أبو حيان : « وخشى الرحمن » أى المتصف بالرحمة ، والرحمة تدعو الى الرجاء ، لكنه مع علمه برحمته بخشاه جل وعلا ، خوفاً من أن يسلبه ما أنعم به عليه ومعنى « بالغيب » أى بالخلوة عند مغيب الانسان عن عيون البشر(٢٣) « فبشره بمغفرة وأجر كريم » لما انتفع بالانذار كان جديراً بالبشارة أى فبشره يا محمد بمغفرة عظيمة من الله لذنوبه ، وأجر كريم فى الآخرة فى جنات النعيم • قال ابن كثير : الأجر الكريم هو الكثير الواسع ، الحسن

---

(٢١) تفسير ابى السعود جـ ٤ ص٢٤٩ .

(٢٢) حاشية الصاوى على الجلالين جـ ٣ ص٣١٩ .

(٢٣) تفسير البحر المحيط جـ ٧ ص٣٢٥ .

الجنة وذلك . إنما يكون فى الجنة ..(٢٤) ، وقال د. محمد محمود حجازى : على هذا فالآية تفيد أن المنتفع بالذكر طبقة خاصة ، وأما الانذار العام فالنبى مكلف به سواء اتبعه فيه بعض الناس أم لا فلا تعارض بين الآية وعموم الرسالة وعموم الانذار للجن والانس(٢٥) . ولما ذكر تعالى أمر الرسالة ذكر بعدها أمر البعث والنشور فقال : « إنا نحن نحيى الموتى » أى نبعثهم من قبورهم بعد موتهم للحساب والجزاء « ونكتب ما قدموا وآثارهم » قال الطبرى : أى ونكتب ما قدموا فى الدنيا من خير وشر ، ومن صالح الأعمال وسيئها « وآثارهم » أى وآثار خطاهم بأرجلهم الى المساجد(٢٦) ، وفى الحديث عن جابر قال : « أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد ــ والبقاع خالية ــ فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « يا بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم ، دياركم تكتب آثاركم » فقالوا : ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا »(٢٧) ، « وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين » أى وكل شىء من الأشياء أو أمر من الأمور جمعناه وضبطناه فى كتاب مسطور هو صحائف الأعمال كقوله تعالى : « **يوم ندعو كل أناس بامامهم** »(٢٨) أى بكتاب أعمالهم ، الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر ، وقال مجاهد وقتادة : هو اللوح المحفوظ(٢٩) ، وقال أبو حيان :

---

(٢٤) مختصر ابن كثير ج ٣ ص١٥٦ .
(٢٥) التفسير الواضح ج ٢٢ ص٨٤ .
(٢٦) تفسير الامام الطبرى ج ٢٢ ص٩٩ .
(٢٧) أسباب النزول للواحدى ص٢٧٤ . بتصرف قليل .
(٢٨) سورة الاسراء : آية ٧١ .
(٢٩) فتح القدير ج ٤ ص٣٦٢ .

« ونكتب ما قدمـوا » أى ونحصى ، فعبـر عن احاطة علمه جـل وعـلا بأعمالهم بالكتابة التى تضـبط بهـا الأشـياء(٣٠) . انتهى .

قصـــة أصـــحاب القـــرية

وقـد اشتملت على هـذه القصـة الآيات من قـوله « واضرب لهـم مثـلا أصحاب القـرية إذ جاءهـا المرسلون ... الى قـوله وإن كـل لمـا جميـع لدينـا محضرون » .

الآيات من آيـة ١٣ الى آيـة ٣٢

المفـــردات :

« مثـلا » الصـفة والحـال الغريبة التى تشـبه فى الغـرابة المثـل .

« أصحاب القـرية » قيـل : هى أنطاكية .. « فعـزز بثالث » فقوينا وأيدنـا بثـالث ، وفى قـراءة فعـزز بالتخفيف بمعنى غلبنـا وقهـرنا . « تطـيرنا » تشـاءمنا بـكم . « لنرجمنكم » لنقتلنكم رميـاً بالحجـارة(٣١) . « طائركم معـكم » أعمالكم وحظـكم من الخـير والشـر معـكم ، ذلك كلـه فى أعناقكم ليس من شؤمنا إن أصابكم سـوء . « أقصى المدينـة » المـراد عند أقصى باب من أبواب المدينـة ويقـال إسـمه « حبيب » فجـاء يسعى اليهـم يذكرهم الله ـ جـل شـأنه ـ ويدعوهم الى اتبـاع المرسلين . « فطرنى » خلقنى على أحسـن حـال . « من جنـد من السـماء » جنـد السماء

---

(٣٠) البحـر المحيط جـ ٧ ص٣٢٥ .

(٣١) التفسـير الواضـح جـ ٢٢ ص٨٦ .

ملائكة الوحى أو ملائكة تنزل بالعذاب • « خامدون » ميتون وهامدون وهالكون كرماد الخامد(٣٢) •

المباحث البلاغية :

تضمنت الآيات الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلى :

١ ــ التأكد بأكثر من مؤكد لأن المخاطب منكر مثل « إنا اليكم لمرسلون » فقد أكدت بـ « إن » و « اللام » و « اسمية الجملة » ويسمى هذا الضرب إنارياً •

٢ ــ الأطناب بتكرار الفعل « اتبعوا المرسلين • اتبعوا من لا يسألكم أجراً » •

٣ ــ الاستفهام للتوبيخ « أأتخذ من دونه آلهة » •

٤ ــ الحذف لدلالة السياق عليه « قيل ادخل الجنة » أى فلما أشهر إيمانه فقتلوه فقيل له ادخل الجنة •

٥ ــ جناس الاشتقاق بين « تطيرنا ••• وطائركم » وبين « أرسلنا ••• والمرسلون » •

٦ ــ مراعاة الفواصل وهو من خصائص القرآن لما فيه من روعة البيان ، وحسن الوقع على السمع ، وهو كثير مشهور •

وبالاضافة الى هذا ما نلاحظه من الايجاز فى القصص والأنباء ، والاشارة الى روحها وسرها ، لأن القصد من القصص التذكير والاعتبار ، ولهذا لم يذكر فى القصة اسم البلدة ،

---

(٣٢) مختصر تفسير الطبرى بهامش القرآن الكريم لابنى يحيى التجنى ص٤٤٢ .

ولا إسم الشخص الذى دعاهم الى الله ، ولا اسم الرسل الكرام ، لأن كل ذلك ليس هو الهدف من القصة ، وقس على هذا سائر قصص القرآن •

المناسبة :

لما بين جل ذكره فى الآيات السابقة موقف المشركين وعنادهم وتكذيبهم لرسول الله ﷺ أخذ فى هذه الآيات يضرب لهم مثلا ويذكرهم بقصة أهل القرية الذين كذبوا رسل ربهم البهم فأهلكهم الله بالصحة فجعلهم خامدون •

تفسير الآيات :

ذكر جل شأنه للمشركين قصة أصحاب القرية الذين كذبوا الرسل فأهلكهم الله بصيحة من السماء فقال « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية » أى واذكر يا محمد لقومك الذين كذبوك قصة أصحاب القرية « إنطاكية » التى هى فى الغرابة كالمثل السائر والقول العجيب « إذ جاءها المرسلون » أى حين جاءهم رسلنا الذين أرسلناهم لهدايتهم • قال القرطبى : وهذه القرية هى « إنطاكية » فى قول جميع المفسرين أرسل الله اليهم ثلاث رسل وهم « صادق » و « مصدوق » و « شمعون »• أمر ﷺ بانذار هؤلاء المشركين أن يحل بهم ما حل بكفار أهل القرية المبعوث اليهم ثلاثة رسل من الله ، وقيل هم رسل عيسى(٣٣) • « إذ أرسلنا اليهم أثنين فكذبوهما » أى حين بعثنا اليهم رسولين فبادروهما بالتكذيب « فعززنا بثالث » أى قويناهما

---

(٣٣) تفسير القرطبى جـ ١٥ ص١٤ . وما ذكره من أنهم رسل عيسى قول مرجوح لأن قوله تعالى « **ما أنتم إلا بشر مثلنا** » انما يقال لمن ادعى أن الله أرسله كذا فى التسهيل جـ ٣ ص١٦١ .

وشـــددنا أزرهما برســـول ثالث « فقالوا إنـــا اليـــكم مرسلون » نحن رســـل الله مرسلون لهدايتكم « قالوا ما أنتـــم إلا بشـــر مثلنـــا » أى ليس لـــكم فضـــل علينـــا وما أنتـــم إلا بشـــر مثلنـــا ، فكيف أوحى الله اليـــكم دوننـــا ؟ ، « وما أنزل الرحمن من شىء » أى لـــم ينـــزل الله شـــيئا من الوحى • والرســـالة « إن أنتـــم الا تكذبون » أى ما أنتـــم الا قـــوم تكذبون فى دعـــوى الرســـالة « قالوا ربنـــا يعـــلم إنـــا اليـــكم لمرسلون » أى أجابهم الرســـل بقولهم الله يعلم أننـــا رســـله اليكم ، ولـــو كنـــا كذبة لانتقم منـــا أشـــد الانتقام ، قـــال ابن جـــذى : أكـــدوا الخبر هنـــا باللام لمرسلون لأنـــه جواب المنـــكرين ، بخـــلاف الموضـــع الأول فـــانه إخبـــار مجـــرد(٣٤) • « وما علينـــا الا البلاغ المبين » أى وليس علينـــا الا أن نبلغكم رسالة الله بلاغـــا واضحا جليـــاً لا غموض فيـــه ، فـــان آمنتـــم فالسعادة ، وإن كذبتم فلـــكم الشقاوة • قـــال أبو حيـــان : وفى هـــذا وعيـــد لهـــم ، ووصف البلاغ بـــ « المبين » لأنـــه الواضح بالآيات الشاهدة بصـــحة الارســـال ، كمـــا روى فى هـــذه القصـــة من المعجزات الدالة على صـــدق الرســـل ، من إبـــراء الأكمـــه والأبرص واحياء الميت(٣٥) « قـــالوا إنـــا تطيرنا بكـــم » أى قـــال لهـــم أهـــل القـــرية : انـــا تشاءمنا بكـــم وبدعوتكم القبيحة لنـــا الى الايمـــان ، وترك عبـــادة الأوثان ، قـــال المفسرون : ووجـــه تشاؤمهم بالرســـل أنهـــم دعوهم الى دين غـــير ما يدينون بـــه ، فاستغربوه واستقبحوه ونفرت عنـــه طبيعتهم المعـــوجة ، فتشاءموا بمـــن دعـــا إليـــه كأنهـــم قـــالوا : أعـــاذنا الله ممـــا تدعوننا اليـــه(٣٦) • ثم توعدوا الرســـل بقولهم

---

(٣٤) التسهيل فى علـــوم التنزيل جـ ٣ ص١٦١ .
(٣٥) تفســـير البحـــر المحيط جـ ٧ ص٣٢٧ .
(٣٦) حاشية شـــيخ زادة على البيضاوى جـ ٣ ص١٢٥ .

« لئن لـم تنتهـوا » أى والله لئن لم تمتنعوا عن قولكم ، ودعوتكم نـا الى التوحيد ، ورفض ديننـا « لنرجمنكم وليمسنكم منـا عذاب أليـم » أى لنرجمنكم بالحجـارة حتى تموتوا ، ولنقتلنكم شر قتـله « قـالوا طائركم معـكم » أى قـالت الرسـل لهـم : ليس شؤمكم بسـينا ، وإنمـا شؤمكم بسيكم ، وبكفركم ، وعصيانكم ، وسـوء أعمالكم • أئن ذكرتم ؟ شـرط جـوابه محـذوف لدلالة السياق عليـه أى أئن ذكرناكم ووعظناكم ودعوناكم الى توحيـد الله ، تشاءمتم بنـا وتوعدتمونا بالرجـم والتعذيب ؟ بـل أنتـم قـوم مسرفون أى ليس الأمـر كمـا زعمتم بـل أنتـم قـوم عادتكم الاسراف فى العصيان والاجـرام ، وهـو توبيـخ لهـم مع الزجـر والتقريع ، وجـاء من أقصى المدينـة رجـل يسعى أى وجـاء من أبعـد أطراف المدينة رجـل يعـدوا ، يسرع فى مشـيه وهـو « حبيب النجـار » قـال ابن كثـير : إن أهـل القـرية همـوا بقتـل رسلهم ، فجاءهم رجـل من أقصى المدينة يسعى لينصرهم من قومه ، وهـو ـ حبيب النجار ـ كـان يعمـل الحـرير وهـو الحباك ، وكـان كثـير الصدقة يتصدق بنصف كسـبه(٣٧) ، وقـال القرطبى : كـان حبيب مجذوماً ومنـزله عند أقصى أبـواب المدينـة ، وكـان يعكف على عبـادة الأصـنام سبعين سنة يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضـره ، فما استجابوا لـه ، فلما أبصـر الرسـل ودعـوه الى الله قال : هـل من آيـة ؟ قـالوا نعـم نحن ندعـوا ربنـا القـادر فيفـرج عنـك ما بك ! فقـال إن هـذا العجب ، انى أدعـو هـذه الآلهـة سبعين سـنة لتفـرج عنى فـلم تستطيع فكيف يفـرجه ربكـم فى غـداة واحدة ؟ فـالوا نعـم ربنـا على ما يشـاء قـدير ، وهـذه لا تنفع شـيئاً

---

(٣٧) مختصر تفسـير ابن كثـير ج ٣ ص١٥٩ . والقـول بذن اسم الرجـل « حبيب النجـار » مروى عن ابن عبـاس .

ولا تضر ، فآمن ودعوا ربهم فكشف الله ما به ، فلما هم قومه بقتل الرسل جاءهم مسرعا وقال ما قصه القرآن(٣٨) . « قال يا قوم اتبعوا المرسلين » أى اتبعوا الرسل الكرام الداعين الى توحيد الله ، وإنما قال « يا قوم » تأليفا لقلوبهم واستمالة لها لقبول النصيحة ، ثم كرر القول تأكيدا وبيانا للسبب فقال ـ جل ذكره ـ : « اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون » أى اتبعوا هؤلاء الرسل الصادقين المخلصين ، الذين لا يسألونكم أجرة على الايمان ، وهم على هدى وبصيرة فيما يدعونكم اليه من توحيد الله « ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون » تلطف فى الارشاد لهم كأنه ينصح نفسه ، ويختار لهم ما يختار لنفسه ، وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم والمعنى أى شىء يمنعنى أن الذى أعبد خالقى أبدع خلقى واليه مرجعكم بعد الموت فيجازى كلا بعمله ؟ . « أأتخذ من دونه آلهة » أستفهام إنكارى أى كيف أتخذ من دون الله آلهة لا تسمع ولا تنفع ولا تغنى عن عابدها شيئاً ، إن يردنى الرحمن بضر لا تغنى عنى شفاعتهم شيئا ، أى هى فى المهانة والحقارة بحيث لو أراد الله أن ينزل بى شيئا من الضر والأذى وشفعت لى لم تنفع شفاعتهم ولم يقدروا على انقاذى ، فكيف وهى أحجار لا تسمع ولا تنفع ولا تشفع ؟ . « ولا ينقذون » أى ولا يقدرون على إنقاذى من عذاب الله « انى اذاً لفى ضلال مبين » أى انى إن عبدت غير الله واتخذت العصيان آلهة لفى خسران ظاهر جلى وبعد النصح والتذكير أعلن إسلامه ، وأشهر ايمانه فقال « إنى آمنت بربكم فاسمعون » أى انى آمنت بربكم الذى خلقكم ، فاسمعوا قولى واعملوا بنصيحتى قال المفسرون :

---

(٣٨) تفسير القرطبى ج ١٥ ص١٨ ؛ وهذه رواية وهب ذكرها القرطبى .

لما قال لهم ذلك ونصحهم وأعلن ايمانه وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، ولم يكن له أحد يمنع عنه أذائهم(٣٩). قال الطبرى وثبوا عليه فوطئوه بأقدامهم حتى مات ، وقيل : رموه بالحجارة حتى مات(٤٠) ، « قيل ادخل الجنة » أى فلما مات قال الله له : ادخل الجنة مع الشهداء الأبرار ، جزاء على صدق إيمانك وفوزك بالشهادة . قال ابن مسعود : إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرجت أمعاؤه من دبره ، وقال الله له « أدخل الجنة » فدخلها فهو يرزق فيها ، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها(٤١) . « قال يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » أى فلما دخل الجنة وعاين ما أكرمه الله بها لايمانه وصبره تمنى أن يعلم قومه بحاله ، ليعلموا حسن مآله أى يا ليتهم يعلمون بالسبب الذى من أجله غفر لى ربى ذنوبى وأكرمنى بدخول جنات النعيم ، قال ابن عباس : نصح قومه فى حياته ، ونصحهم بعد مماته(٤٢) . قال أبو السعود : وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب الثواب والأجر ، بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان ، جرياً على سنن الأولياء فى الترحم على الأعداء(٤٣).

« وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء »

---

(٣٩) انظر مختصر ابن كثير ج ٣ ص١٥٩ .

(٤٠) مختصر تفسير الطبرى ص٤٤١ ، والقرطبى ج ٢٢ ص١٠٤ .

(٤١) مختصر ابن كثير ج ٣ ص١٦٠ .

(٤٢) هذا قول ابن عباس وقال صاحب الكشاف : وفى حديث مرفوع : نصح قومه حياً وميتاً والمشهور انه من كلام ابن عباس . انظر الكشاف ج ٤ ص١١ .

(٤٣) تفسير أبو السعود ج ٤ ص٢٥٢ .

هـذا تحقـير لهـم وتصغير لشأنهم أى لم نحتـج فى إهلاكهم الى ارسـال جنود من السماء من بعـد قتلهم لـه « وما كنـا منزلين » أى وما كنـا لننـزل الملائكة ، بـل أمرهـم كان أهـون وأحقـر من ذلك « إن كانت الا صيحة واحـدة فـاذا هـم خامدون » أى ما كانت عقوبتهم الا صيحة واحـدة صـاح بهـم جبريل فاذا هـم ميتـون لا حـراك بهـم ، قـد أخمدت أنفاسهم حتى صاروا كالنـار الخـامدة قـال المفسرون : وفى الآيـة إستحقار لاهلاكهم فانهـم أذل وأهـون على الله من أن يرسـل الملائكة لاهلاكهم ، وقـد روى أنـه لما قتـل « حبيب النجـار » غضب الله ـ تعالى ـ لـه ، فعجـل لهـم النقمـة فأمـر جبريل ـ عليه السلام ـ فصـاح بهـم صيحة واحـدة فمـا تواعن آخرهم ، فجعـل طريق استئصالهم بالصيحة . ثم قـال تعـالى : « يا حسرة على العبـاد ما يأتيهم من رسـول إلا كانوا بـه يستهزئون » أى يا أسفاً على هـؤلاء المكذبين لرسـل الله المنكرين لآياته ويا حسرة عليهـم ، ما جـاءهم رسول إلا كـذبوه واستهزؤا بـه ، وهـكذا عـادة المجرمين فى كـل زمـان ومكـان . قـال فى حاشية البيضاوى : إنهـم أحقـاء بأن يتحسروا على أنفسهم أو من يتـأتى منـه التلهف إذا نظـر الى حـال استهزائهم بالرسـل تحسـر عليهـم ، وقـال : يالهـا من حسرة وخيبـة على هـؤلاء المحرومين ، حيث بدلوا الايمـان بالكفر ، والسعادة بالشقاوة(٤٤) . وفى الآيـة تعريض بكفـار قـريش حيث كذبوا سـيد المرسلين . ولمـا مثـل حـال كفار مكـة بحـال أصحاب القرية وبـخ المشركين على عـدم اعتبارهم بمـن سبقهم فقـال ألـم يروا كـم أهلكنـا قبلهـم من القرون أنهـم اليهـم لا يرجعون » أى ألـم يتعظ هؤلاء المشركون بمن أهـلك الله قبلهـم من المكذبين للرسـل ، ويعلمـوا أن

---

(٤٤) حاشية زاده على البيضاوى جـ ٣ ص١٢٨ .

هـؤلاء المهلكين لا عـودة لهـم الى الدنيـا بعـد هلاكهـم(٤٥) ؟ « وإن كـل لمـا جميـع لدينـا محضرون » أى وأن جميـع الأمـم الماضية والآتيـة ستحضر للحساب والجـزاء يـوم القيـامة بين يدى أحـكم الحاكمين ، فيجازيهم بأعمالهم كلهـا خيرها وشرهـا ؟

قـال أبو حيـان : وجـاءت هـذه الجملة بعـد ذكـر الاهلاك تبيينـاً الى أن الله تعالى لا يترك المهلكين بـل بعـد الهـلاك جمـع وحسـاب ، وثواب وعقـاب(٤٦) .

بعـض مظـاهر القـدرة الالهيـة

يشـير الى ذلك : « وآيـة لهـم الأرض الميتـة أحييناها ... الى إلا رحمـة منـا ومتـاعاً الى حين » .

من آيـة ٣٣ الى ٤٤

المفـردات :

« آيـة » عـلامة لأنهـا دالـة على وجـود الله . قال أبـو العتاهيـة :

فيـا عجبـاً كيـف يعـصى الالـه
أم كيـف يجحـده الجـاحد
وللـه فى كـل تحريكـة
وتسـكينة أبـداً شـاهد
وفى كـل شىء لـه آيـة
تـدل عـلى أنـه واحـد

(٤٥) مختصر ابن كثـير ج ٣ ص١٦١ .
(٤٦) تفسـير البحـر المحيط ج ٧ ص٣٣٥ .

« الميتـة » التى لا نبـات فيهـا .

« جنـات » بساتين من شـجر النخيـل والأعنـاب .

« وفجـرنا » شققنا وأنبعنـا عيوناً كثـيرة .

« سبحان » تنزيهـا لله عمـا لا يليق بـه .

« الأزواج » الاصناف والأنواع المختلفـة(٤٧) .

« نسـلخ » السـلخ : الكشط والنـزع ، قـال تعالى « فانسلخ منهـا »(٤٨) ، ويقـال : سـلخ الجـزار الشـاة أى نـزع الجلد عن اللحـم والمـراد منـه النهـار ونزيله عنـه .

« قدرناه منـازل » الأصـل قدرنا لـه منـازل ثم حذفت اللام فقيـل قدرناه منـازل والمـراد جعلنـا لـه منـازل ، والمنـازل جمـع منـزل والمـراد بـه المسافة التى يقطعها القمـر فى يـوم وليـلة .

« العرجـون » من الانعـراج وهـو الانعطاف ، والعرجون : عـود عـذق النخـلة الذى فيـه عناقيد الرطب . قـال الجوهرى : هـو أصـل العـذق الذى يعـوج وتقطـع منـه الشماريخ فيبقى على النخل يابسـاً(٤٩) .

« فى فـلك » والفـلك هـو المـدار الذى يدور فيـه الكوكب سمى بـه لاستدارته كفلكه المغـزل .

---

(٤٧) التفسير الواضـح ج ٢٣ ص٤ .

(٤٨) سورة الأعراف : آيـة ١٧٥ .

(٤٩) انظـر تفسير القرطبى ج ١٥ ص٣١ . والقاموس المحيـط ، والصحاح مـادة يحـرج .

« يسبحون » يسيرون بانبساط وسهولة .

« المشحون » المملوء الموقر بالأشياء الثقيلة .

« فلا صريخ » فلا مغيث .

المباحث البلاغية :

تضمنت الآيات الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلى :

١ ــ التنكير والتفخيم والتعظيم « وآية لهم » أى آية عظيمة باهرة على قدرة الله .

٢ ــ الطباق بين الموت والاحياء « الأرض الميتة أحييناها » .

٣ ــ الأستعارة التصريحية « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » شبه إزالة ضوء النهار وانكشاف ظلمة الليل بسلخ الجلد عن الشاة ، واستعار اسم السلخ للازالة والاخراج واشتق منه نسلخ بمعنى نخرج منه النهار بطريق الاستعارة التصريحية ، وهذا من بليغ الاستعارة . وبين الليل والنهار طباق .

٤ ــ التشبيه المرسل المجمل « حتى عاد كالعرجون القديم » وجه الشبه مركب من ثلاثة أشياء : الدقة ، والانحناء ، والصفرة ، ولما لم يذكر سمى مجملا .

٥ ــ تقديم المسند اليه لتقوية الحكم المنفى لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر فانه أبلغ من أن يقول : « لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر » . وأكد فى إفادة أنها مسخرة لا يتيسر لها الا ما أريد بها فان قولك « أنت لا تكذب »

بتقديم المسند اليه أبلغ من قولك « لا تكذب » فانه أشد لنفى الكذب من العبارة الثانية(٥٠) .

٦ ــ تنزيل غير العاقل منزلة العاقل « وكل فى فلك يسبحون » بدل يسبح ، فقد عبر عن الشمس والقمر والكواكب بضمير جمع المذكر ، والذى سوغ ذلك وصفهم بالسباحة لأنها من صفات العقلاء(٥١) .

٧ ــ السجع غير المتكلف فى ختام الآيات الكريمة أذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض من ذلك مثل « وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون » « وفجرنا فيها من العيون » و « من أنفسهم ومما لا يعلمون » و « فاذا هم مظلمون » ومثل « ذلك تقدير العزيز العليم » و « حتى عاد كالعرجون القديم » وهو من المحسنات البديعية .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصة أهل القرية ، وإهلاك الله لهم بالصيحة بسبب تكذيبهم المرسلين ، ذكر هنا الأدلة والبراهين على القدرة والوحدانية ، فى إخراج الزروع والثمار ، وتعاقب الليل والنهار ، وفى الشمس والقمر يجريان بقدرة الواحد القهار .

تفسير الآيات :

« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها » أى ومن الآيات الباهرة ،

---

(٥٠) انظر حاشية الشيخ زادة على البيضاوى .
(٥١) انظر حاشية الصاوى على الجلالين ج ٣ ص٣٢٦ .

والعلامات الظاهرة الدالة على كمال قدرة الله ووحدانيته . هذه الآية العظيمة ، وهى الأرض اليابسة الهامدة التى لا نبات فيها ولا زرع ، أحييناها بالمطر . قال المفسرون : موت الأرض جدبها ، وإحياؤها بالغيث ، فاذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ولهذا قال « وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون » أى وأخرجنا بهذا الماء أنواع الحبوب ليتغذوا به ويعيشوا . قال القرطبى : نبههم تعالى بهذا على إحياء الموتى ، وذكرهم على توحيده وكمال قدرته ، بالأرض الميتة أحياها بالنبات ، واخراج الحب منها ، فمن الحب يأكلون وبه يتغذون(٥٢) .

« وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب » أى وجعلنا فى الأرض بساتين ناضرة فيها من أنواع النخيل والعنب « وفجرنا فيها من العيون » أى وجعلنا فيها ينابيع من الماء العذب ، والأنهار السارحة فى بلدان كثيرة « ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم » أى ليأكلوا من ثمرات ما ذكر من الجنات والنخيل التى أنشأها لهم ، ومما عملته أيديهم مما غرسوه وزرعوه بأنفسهم . قال ابن كثير : لما امتن على خلقه بايجاد الزروع لهم ، عطف بذكر الثمار وأنواعها وأصنافها ، وما ذاك كله إلا من رحمة الله ـ تعالى ـ بهم ، لا بسعيهم وكدهم ، ولا بحولهم وقوتهم ولهذا قال « أفلا يشكرون » ؟ أى أفلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم ؟ واختار ابن جرير أن « ما » بمعنى الذى أى ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أى من الذى غرسوه ونصبوه ، « سبحان الذى خلق الأزواج كلها » أى تنزه وتقدس

---

(٥٢) تفسير القرطبى جـ ١٥ ص٢٥ .

الله العلى الجليل الذى خلق الأصناف كلها ، المختلفة الالوان والطعوم والأشكال من جميع الاشياء « مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » أى من مما تخرج الأرض من النخيل والأشجار ، والزروع والثمار ، ومن أنفسهم من الذكور والاناث ، ومما لا يعلمون من المخلوقات العجيبة والأشياء الغريبة كما قال تعالى « **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون** »(٥٣) . ولقد كان السائد أن الزوجية إنما تكون بين الانسان والحيوان فقط ، وجاء القرآن بالمعجزة الباهرة المثبتة لما اكتشفه العلم الحديث منذ زمن قريب وهى أن الزوجية بين الانسان والحيوان والنبات والذرة وسائر الكائنات ، فقد ثبت أن الذرة — وهى أصغر أجزاء المادة — مؤلفة من زوجين مختلفين من الاشعاع الكهربائى « سالب وموجب » يتزاوجان ويتحدان ، وأن بين النبات أعضاء مذكرة وأعضاء مؤنثة ، فسبحان العلى القدير القائل « سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » وقوله : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » أى وعلامة أخرى لهم على كمال قدرتنا الليل نزيل عنه الضوء ونفصله عن النهار فاذا هم داخلون فى الظلام . وفى الآية رمز الى أن الأصل هو الظلام والنور عارض ، فاذا غربت الشمس ينسلخ النهار من الليل ويكشف ويزول فيظهر الأصل وهو ظلمة « والشمس تجرى لمستقر لها » أى وآية أخرى لهم الشمس تسير بقدرة الله فى فلك لا تتجاوزه ولا تتخطاه لزمن تستقر فيه ، ولوقت تنتهى إليه وهو يوم القيامة حيث ينقطع جريانها عند خراب العالم قال ابن كثير : وفى قوله تعالى « لمستقر لها » قولان :

---

(٥٣) سورة الذاريات : آية ٤٩ .

أحدهما : أن المراد مستقرها المكانى وهو تحت العرش مما يلى الأرض لحديث البخارى « أن النبى ﷺ قال : يا أبا ذر أتدرى أين تغرب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش ... » الحديث .

والثانى : أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة ، حيث يبطل سيرها ، وتسكن حركتها ، وتكور وينتهى هذا العالم الى غايته ، وقرىء « لا مستقر لها » أى لا قرار لها ولا سكون ، بل هى سائرة ليلا ونهارا ، لا تفتر ولا تقف(٥٤) . « ذلك تقدير العزيز العليم » أى ذلك الجرى والدوران بانتظام وحساب دقيق هو تقدير الاله العزيز فى ملكه ، العليم بخلقه ، قال صاحب ظلال القرآن « والشمس تدور حول نفسها وكان الظنون أنها ثابتة فى موضعها الذى تدور فيه ، ولكن عرف أخيرا أنها ليست مستقرة فى مكانها إنما هى تجرى باثنى عشر ميلا فى الثانية ، والله ربها الخبير بها وبجريانها وبمصيرها يقول إنها « تجرى لمستقر لها » هذا المستقر الذى تنتهى اليه لا يعلمه الا هو سبحانه وتعالى ... وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه ، وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجرى فى الفضاء لا يسندها شىء ، ندرك طرفا من صفة القدرة التى تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم ، وصدق الله « ذلك تقدير العزيز العليم »(٥٥) . « والقمر قدرناه منازل » أى والقمر قدرنا مسيره فى منازل يسير فيها لمعرفة الشهور ،

---

(٥٤) مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص١٦٢ .
(٥٥) فى ظلال القرآن لسيد قطب ج ٥ ص٢٩٦٨ .

وهى ثمانية وعشرون منـزلا فى ثمانية وعشرين ليـلة ، ينـزل كـل ليـلة فى واحـد منهـا لا يتخطاها ولا يتعداها ، فـاذا كان فى آخـر منـازله رق واستقوس حتى عـاد كالعرجون القـديم أى حتى صـار كغصـن النخـل اليـابس ، وهـو عنقـود التمـر حين يجـف ويصـفر ويتقـوس ، قـال ابن كثـير : جعـل الله القمـر لمعـرفة الشهور ، كمـا جعـل الشمس لمعـرفة الليـل والنهـار ، وفـاوت بين سـير الشمس وسـير القمـر ، فالشمس تطـلع كـل يـوم ويغـرب فى آخـره ، وتنتقـل فى مطالعها ومغاربها صـيفاً وشتاء ، بطـول بسبب ذلك النهـار ويقصر الليـل ، ثم يطـول الليـل ويقصر النهـار ، وهى كوكب نهـارى ، وأمـا القمـر فقدره منـازل يطلع فى أول ليـله من الشهر ضـئيلا قليـل النـور ، ثم يزداد نـوراً فى الليلة الثانية ويرتفـع منزله ، ثم كلمـا ارتفـع ازداد ضـياؤه حتى يتكامل نـوره فى الليلة الرابعة عشرة ، ثم يشـرع فى النقص الى آخـر الشهر حتى يصـير كالعرجون القـديم . قـال مجـاهد : أى العـذق اليـابس وهـو عنقود الرطب إذا عنق ويبس وانحنى ، ثم يبـدأ جـديداً فى أول الشهر الآخـر(٥٦) . « لا الشمس ينبغى لهـا أن تدرك القمـر » أى لا يمكن للشمس ولا يصـح لهـا أن تجتمـع مع القمر بالليـل فتمحـو نـوره ، لأن ذلك يخـل بتلوين النبات ، ومصلحة العبـاد . قـال الطبرى : أى لا الشمس يصـلح لهـا إدراك القمـر ، فيذهب ضوءها نـوره فتكـون الأوقـات كلهـا نارا لا ليـل فيهـا « ولا الليـل سابق النهـار » أى ولا الليـل يسبق النهـار حتى يدركه فيذهب بضـيائه فتكون الأوقـات كلها ليـلا(٥٧) « وكـل فى فـلك يسبحون » أى وكـل من الشمس والقمـر والنجوم يدورون فى فـلك السماء . قـال الحسن : الشمس والقمـر والنجوم

---

(٥٦) مختصر ابن كثـير ج ٣ ص١٦٣ .
(٥٧) تفسـير الطبرى ج ٢٣ ص٦ .

فى فلك بين السماء والأرض ، غير ملصقة بشىء ولو كانت ملصقة ما جرت(٥٨) • والغرض من الآية : بيان قدرة الله فى تسيير هذا الكون بنظام دقيق ، فالشمس لها مدار ، والقمر له مدار ، وكل كوكب من الكواكب له مدار لا يتجاوزه فى جريانه أو دورانه ، ولا يطغى أحدهما على الآخر ما قال قتادة : « لكل حدو علم لا يعدوه ، ولا يقصر دونه » حتى يأتى الأجل المعلوم بخراب العالم ، فيجمع الله بين الشمس والقمر كما قال تعالى « وجمع الشمس والقمر »(٥٩) ، فيختل نظام الكون ، وتقوم القيامة ، وتنتهى حياة البشرية عن سطح هذا الكوكب الأرض • يقول سيد قطب ــ رحمه الله : المسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة وقد قدر الله خالق هذا الكون أن تقوم هذه المسافات الهائلة بين مدارات النجوم ليحفظه بمعرفته من التصادم والتصدع . وحركة هذه الأجرام فى الفضاء الهائل أشبه بحركة السفن فى الخضم الفسيح ، فهى ــ على ضخامتها ــ لا تزيد على أن تكون نقطاً سابحة فى ذلك الفضاء المرهوب »(٦٠) !! • « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون » أى وعلامة أخرى واضحة للناس على كمال قدرتنا أننا حملنا آباءهم الأقدمين ــ وهم ذرية آدم ــ فى سفينة نوح المملوءة بالناس والدواب والأمتعة والطعام ، قال الضحاك : هى سفينة نوح عليه السلام التى أمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين • قال فى التسهيل : وإنما خص ذريتهم بالذكر ، لأنه أبلغ فى الامتنان

---

(٥٨) تفسير القرطبى جـ ١٥ ص٣٣ .
(٥٩) سورة القيامة : آية ٩ .
(٦٠) فى ظلال القرآن جـ ٥ ص٢٥٦٩ .

عليهم ، ولأن فيه إشارة الى حمل أعقابهم الى يوم القيامة(٦١) .
« وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » أى وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح السفن العظيمة التى يركبونها ويبلغون عليها أقصى البلدان ، وإنما نسب الخلق اليه لأنها بتعليم الله جل وعلا للانسان . وقال ابن بباس : هى الابل وسائر المركوبات . فهى فى البر مثل السفن فى البحر ، وقال ابن عباس أن المراد بقوله « من مثله » السفن أى خلق لهم سفناً أمثال سفينة نوح يركبونها وهو الأظهر لقول بعده « وإن نشأ نغرقهم »(٦٢) .
« وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم » ولو أردنا لأغرقناهم فى البحر فلا مغيث لهم « ولا هم ينقذون » أى ولا أحد يستطيع أن ينقذهم من الغرق « إلا رحمة منا ومتاعاً الى حين » أى لا ينقذهم أحد الا نحن لأجل رحمتنا إياهم ، تمتيعاً لهم الى انقضاء آجالهم ... بين تعالى أن ركوبهم السفن فى البحر من الآيات العظيمة ، فان سير السفينة بما فيها من الرجال والأثقال فوق سطح الماء آية باهرة فقد حملتهم قدرة الله ونواميسه التى تحكم الكون وتصرفه بحكم خواص السفن ، وخواص الماء ، وخواص الريح ، وكلها من أمر الله وخلقه وتقديره ، والسفينة فى البحر الخضم كالريشة فى مهب الهواء . وإلا تدركها رحمة الله فهى هالكة فى لحظة من ليل أو نهار ، والذين ركبوا البحار ، وشاهدوا الأخطار ويدركون هول البحر المخيف ، ويحسون معنى رحمة الله وأنها وحدها هى المنجى لهم من بين العواصف والتيارات ، فى هذا الخضم الهائل الذى

---

(٦١) التسهيل فى علوم التنزيل ج ٣ ص١٦٤ .
(٦٢) تفسير القرطبى ج ١٥ ص٣٥ وفتح القدير ج ٤ ص٣٧٥ .

تمسكه يد الرحمة ويعرفون معنى قوله تعالى « إلا رحمة منا » فسبحان الله القدير الرحيم !!

الكفار وشبهاتهم حول البعث

يشير الى ذلك الآيات من قوله « وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ... الى قوله فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون » .

من الآية ٤٥ الى الآية ٥٤

المفردات :

« يخصمون » يختصمون فى أمورهم غافلين عما حولهم .

« توصية » وصية .

« الصور » سئل رسول الله — ﷺ — عن الصور فقال « قرن ينفخ فيه »(٦٣) .

« الاجداث » جمع جدث وهو القبر .

« ينسلون » يسرعون فى الخروج ، يقال : عسل الذئب ونسل . أى أسرع فى المشى(٦٤) .

« مرقدنا » اسم مكان من رقد وهو المكان الذى ينام فيه النائم أو الميت .

المباحث البلاغية :

تضمنت هذه الآيات الكريمة وجوهاً بلاغية من علمى البيان والبديع نختصرها فيما يلى :

---

(٦٣) انظر مسند الامام أحمد ج ٢ ص١٦٢ .

(٦٤) تفسير القرطبى ج ١٥ ص٤٠ .

١ ــ الاستعارة اللطيفة « من بعثنا من مرقدنا » المرقد هنا عبارة عن الممات ، فشبهوا حال موتهم بحال نومهم لأنهما أشبه الأشياء بها وهو أبلغ من قوله : من بعثنا من مماتنا .

٢ ــ الايجاز بالحذف « هذا ما وعد الرحمن » أى تقول لهم لهم الملائكة هذا ما وعدكم به الرحمن .

٣ ــ الطباق « قال الذين كفروا للذين آمنوا » .

٤ ــ الاستفهام الذى يراد منه التهكم « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » ؟

المناسبة :

لما بين فى الآيات السابقة بعض مظاهر قدرته تعالى أخذ يبين فى هذه الآيات شبهات المشركين حول البعث ورد عليهم بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة .

تفسير الآيات :

« وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون » لما ذكر تعالى بدلائل قدرته وآثار رحمته ، أخبر هنا عن الحق ، وإعراضهم عن الهدى والايمان ، مع كثرة الآيات الواضحات والشواهد الباهرات ، والمعنى إذا قيل للمشركين احذروا سخط الله وغضبه ، واعتبروا بما حل بالأمم السابقين قبلكم من العذاب بسبب تكذيبهم الرسل ، واحذروا ما وراءكم من عذاب الآخرة لكى ترحموا ، وجواب الشرط محذوف أعرضوا واستكبروا ودل عليه قوله تعالى إلا كانوا عنها معرضين . قال القرطبى : والجواب محذوف تقديره : إذا قيل لهم ذلك أعرضوا ، ودليله

الآيـة التى بعدهـا « وما تأتيهـم من آيـة ... » فاكتفى بهـذا عن ذلك(٦٥) . « وما تأتيهم من آيـة من آيات ربهـم إلا كانوا عنهـا معرضين » أى وما تأتى هؤلاء المشركين عـلامة من العلامات الواضحة الدالـة على صـدق الرسـول ـ كالمعجزات الباهـرة التى أيـده الله بهـا ـ إلا أعرضوا عنهـا على وجـه التكذيب والاستهزاء . قـال أبـو السعود : واضـافة الآيات الى اسـم الرب جـل وعـلا لتفخيـم شأنها ، المستتبع لتهـويل ما اجترءوا عليـه فى حقهـا ، والمـراد بالآيات إمـا الآيات التنزيلية التى من جملتها الايات الناطقة ببدائع صـنع الله وسوابغ آلائـه ، أو الآيات التكوينية الشـاملة للمعجـزات وغيرهـا من تعاجيب المصنوعات ، التى من جملتها ما ذكـر من شـئونه الشـاهدة بوحدانيته تعـالى ، وتفـرده بالألوهية(٦٦) . « واذا قيـل لهـم أنفقـوا ممـا رزقكم الله » أى وإذا قيـل لهؤلاء الكفـار بطـريق النصيحة أنفقـوا بعض ما أعطـاكم الله من فضله على الفقـراء والمساكين ، قال الذين كفـروا للذين آمنـوا أنطعـم من لـو يشـاء الله أطعمـه أى قـال الكفـار للمؤمنين تهكماً بهـم : أننفق أموالنـا على هـؤلاء المساكين الذين أفقرهم الله ؟ « إن أنتـم الا فى ضـلال مبين » أى ما أنتـم أيهـا المؤمنون الا فى ضـلال ظاهـر واضـح حيث تأمروننا أن ننفق أموالنـا على من أفقرهم الله قـال ابن عبـاس : كـان بمـكة زنادقة فـاذا أمـروا بالصـدقة على المساكين قـالوا : لا والله لا نفعـل ، أيفقـره الله ونطعمـه نحـن ؟ . ثم يقـول القرطبى بعـد هـذه الرواية إنمـا أخرجـوا هـذا الجـواب مخـرج لاستهزاء بالمؤمنين(٦٧) ، وغرضهم الـرد

---

(٦٥) تفسير القرطبى جـ ١٥ ص٣٦ .
(٦٦) تفسير ابو السعود جـ ٤ ص٢٥٥ .
(٦٧) تفسير القرطبى جـ ١٥ ص٣٧ .

على المؤمنين فكأنهم يقولون : لو كان الأمر كما تزعمون أن الله قادر ، وأن الله رازق لأطعم هؤلاء الفقراء ، فما بالكم تطلبون إطعامهم منا ؟ وما علم هؤلاء السفهاء أن خزائن الأرزاق بيد الخلاق ، وأنه تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعض الخلق ابتلاء ، لينظر كيف عطف الغنى على الفقير ، وكيف صبر الفقير ، فقد منع الدنيا عن الفقير لا بخلا ، وأمر الغنى بالانفاق عليه لا حاجة الى ماله ، ولكن للابتلاء والله يفعل ما يشاء ، لا اعتراض لأحد فى مشيئته ولا فى حكمه : **« لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »(٦٨)** ، ثم أخبر تعالى عن إنكار المشركين للآخرة واستبعادهم لقيام الساعة فقال : « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » أى متى يوم القيامة الذى تتوعدوننا به ؟ ومتى هذا العذاب الذى تخوفوننا به إن كنتم صادقين فى دعواكم أن هناك بعثاً ونشوراً وحسابا وعذابا ؟ قال تعالى رداً عليهم « ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم مفاجأة من حيث لا يشعرون الا بالصيحة قد أخذتهم فيموتون فى أماكنهم • قال ابن كثير : وهذه ــ والله أعلم ــ نفخة الفزع ، ينفخ إسرافيل فى الصور والناس فى أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم ، فبينما هم كذلك إذا أمر الله اسرافيل فنفخ فى الصور نفخة يطولها ويمدها ، فلا يبقى أحد على وجه الأرض الا حنى عنقه يتسمع الصوت من قبل السماء وهذا قاله ابن كثير هو اختيار الطبرى وأن بها نفخة الفزع • وقال القرطبى : هى نفخة الصعق التى يموت بها جميع الأحياء(٦٩) • وقوله « فلا يستطيعون

---

(٦٨) سورة الأنبياء : آية ٢٣ .

(٦٩) مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص١٦٥ ، مختصر الطبرى ص٤٤٣ ، القرطبى ج ١٥ ص٣٧ .

توصية ولا الى أهلهم يرجعون » أى فلا يستطيع بعضهم أن يوصى بعضا بأمر من الأمور ، ولا يستطيعون أن يرجعوا الى أهلهم ومنازلهم لأن الأمر أسرع منه ذلك • وفى الحديث : « لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه — أى يصلحه بالطين — فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها »(٧٠) • ثم تكون هناك النفخة الثانية وهى « نفخة الصعق » التى يموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحى القيوم ، ثم تكون النفخة الثالثة وهى « نفخة البعث والنشور » التى يخرج الناس بها من القبور ، وهى التى أشارت إليها الآية الكريمة « ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون » أى ونفخ فى الصور فاذا هؤلاء الأموات يخرجون من قبورهم يسرعون المشى • قال الطبرى : « ينسلون » يخرجون سراعا ، والنسلان : الاسراع فى المشى(٧١) • « قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا » ؟ أى يقولون هلاكنا من الذى أخرجنا من قبورنا التى كنا فيها ؟ قال ابن كثير : وهذا لا ينفى عذابهم فى قبورهم ، لأنه بالنسبة الى ما بعده فى الشدة كالرقاد ، فاذا قالوا ذلك أجابتهم الملائكة أو المؤمنون(٧٢) • « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » أى هذا الذى وعدكم الله به من البعث بعد الموت والحساب والجزاء ، وصدق رسله الكرام فيما أخبرونا به عن الله « إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون » أى ما كان أمر بعثهم الا صيحة واحدة يصيح بهم فيها إسرافيل فاذا هم جميع عندنا

---

(٧٠) اخرجه البخارى .
(٧١) تفسير الطبرى ج ٢٣ ص١١ .
(٧٢) مختصر ابن كثير ج ٣ ص١٦٦ .

حاضرون • قال الصاوى : وهذه الصيحة وهى قول اسرافيل : أيتها العظام النخرة ، والأوصال المتقطعة ، والأجزاء المتفرقة ، والشعور المتمزقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ثم ينفخ فى الصور فاذا هم مجموعون فى موقف الحساب(٧٣) • « فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون » أى ففى هذا اليوم — يوم القيامة — لا تظلم نفس شيئا ، سواء كانت هذه النفس برة أو فاجرة ، ولا يحمل الانسان وزر غيره وإنما يجازى كل بعمله • قال أبو السعود : وهذه حكاية لما سيقال لهم فى الآخرة حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقاً للحق ، وتقريعا لهم(٧٤) •

أصحاب الجنة وأصحاب النار

ويشير الى ذلك المقطع الآيات « إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون ••• الى قوله اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » •
الآيات من ٥٥ الى ٦٥

المفردات :

« فاكهون » الفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ، ومنه الفاكهة لأنها مما يتلذذ بها •

« يدعون » أصله يدتعون والمراد يتمنون وعليه قولهم : ادع على ما شئت بمعنى تمن على بما شئت(٧٥) •

---

(٧٣) حاشية الصاوى على الجلالين ج ٣ ص٣٢٨ .
(٧٤) تفسير أبو السعود ج ٤ ص٢٥٧ .
(٧٥) التفسير الواضح ج ٢٣ ص١٠ .

« وامتـازوا » تميـزوا وانفصلوا ، والتمييز : التفريق بين أمـرين .

« ألـم أعهـد » ألـم أوص والعهـد الوصـية .

« جبـلا » بكسر الجيـم خلقـاً جمـع جبـلة ومنه « والجبلة الأولين »(٧٦) مشـتق من جبـل الله الخلق أى خلقهـم .

« نختـم على أفواههم » نمنعهـا عن الكـلام .

المبـاحث البلاغيـة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوهـاً من البيـان والبديع نوجزهـا فيمـا يـلى :

١ ـ طبـاق السلب « ألا تعبـدوا الشيطان ... وأن اعبدونى » ، فالأول سـلب ، والآخـر إيجـاب .

٢ ـ الاستفهام الانكارى للتوبيـخ والتقـريع « أفـلم تكـونوا تعقـلون » ؟

المناسـبة :

لمـا ذكـر فى الآيات السابقة أحـوال الكفـار وبعض شبهاتهم حـول البعث شـرع يبين فى هـذه الآيات أحـوال المؤمنين بالبعث وما أعـده لهـم من نعيـم وأحـوال المنكرين بالبعث وما أعـد لهم من عـذاب مقيـم وفضيحة جوارحهم لهـم .

تفسـير الآيـات :

لمـا أخبـر عن مـآل المجرمين أخبـر عن حـال الأبرار فقـال « إن أصحاب الجنـة اليـوم فى شـغل فاكهـون » أى ان أصحاب

---

(٧٦) سورة الشعراء : آيـة ١٨٤ .

الجنة فى ذلك اليوم – يوم الجزاء – مشغولون بما هم فيه من اللذات والنعيم عن التفكير بأهل النار ، يتفكهون ويتلذذون بالحور العين ، وبالأكل والشرب والسماع للأوتار • قال أبو حيان : والظاهر أن الشغل هو النعيم الذى هو شغلهم عن كل ما يخطر بالبال • وقال ابن عباس : شغلوا بافتضاض الأبكار ، وسماع الأوتار عن أهاليهم من أهل النار ، لا يذكرونهم لئلا ينغصوا(٧٧) • « هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون » أى هم وزوجاتهم فى ظلال الجنان الوارفة ، حيث لا شمس فيها ولا زمهرير ، متكئون على السرر المزينة بالثياب والستور « لهم فيها فاكهة » أى ولهم فى الجنة فاكهة كثيرة من كل أنواع الفواكه ، « ولهم ما يدعون » أى ولهم فيها ما يتمنون ويشتهون كقوله تعالى **« وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين »(٧٨)** • « سلام قولا من رب رحيم » أى لهم سلام كريم من ربهم الرحيم ، وفى الحديث « بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع عليهم نور ، فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى « سلام قولا من رب رحيم » قال : فينظر إليهم وينظرون اليه ، فلا يلتفتون الى شىء من النعيم مادامو ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم »(٧٩) • وبعد أن بين تعالى حال السعداء ذكر حال الأشقياء فقال « وامتازوا اليوم أيها المجرمون » أى تميزوا وانفصلوا يا معشر الكفرة المجرمين عن

---

(٧٧) البحر المحيط جـ ٧ ص٣٤٢ .

(٧٨) سورة الزخرف : آية ٧١ .

(٧٩) اخرجه ابن ابى حاتم ؛ قال ابن كثير : وفى اسناده نظر كذا جاء فى مختصر ابن كثير جـ ٣ ص١٦٧ ورواه ابن ماجه فى سننه .

عبادى المؤمنين انفردوا عنهم وكونوا جانباً . قال القرطبى يقال لهم هذا عند الوقوف للسؤال ، وحين يؤمر بأهل الجنة الى الجنة(٨٠) . « ألم أعهد إليكم يابنى آدم » الاستفهام التوبيخ والتقريع وهو توبيخ للكفرة المجرمين أى ألم أوصكم وآمركم يابنى آدم على ألسنة رسلى « ألا تعبدوا الشيطان » أى ألا تطيعوا الشيطان فيما دعاكم اليه من معصيتى ؟ « إنه لكم عدو مبين » تعليل للنهى أى لأنه عدو لكم ظاهر العداوة ، فكيف يطيع الانسان عدوه ؟ « وأن اعبدونى » أى وأمرتكم بأن تعبدونى وحدى ، بتوحيدى وطاعتى وامتثال أمرى « هذا صراط مستقيم » أى هذا هو الدين الصحيح ، والطريق الحق المستقيم « ولقد أضل منكم جبلا كثيراً » تأكيد للتعليل أى ولقد أضل الشيطان خلقاً منكم كثيرين ، وأغواهم عن سلوك طريق الحق . قال الطبرى : أى صد الشيطان منكم خلقاً كثيرا عن طاعتى حتى عبدوه(٨١) . « أفلم تكونوا تعقلون » ؟ وهو توبيخ آخر للكفرة والفجار .. ثم بشرهم بما ينتظرهم من العذاب فقال « هذه جهنم التى كنتم توعدون » أى هذه نار جهنم التى أوعدكم بها الرسل وكذبتم بها . قال الصاوى : هذا خطاب لهم وهم على شفير جهنم ، والمقصود منه زيادة التبكيت والتقريع(٨٢) . « اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون » أى ذوقوا حرارتها وقاسوا أنواع عذابها اليوم بسبب كفركم فى الدنيا ، وهو أمر إهانة وتحقير مثل قوله **« ذق إنك أنت العزيز الكريم »(٨٣)** .

---

(٨٠) تفسير القرطبى ج ١٥ ص٤٦ .
(٨١) تفسير الطبرى ج ٢٣ ص١٦ .
(٨٢) حاشية الصاوى على الجلالين ج ٣ ص٣٢٩ .
(٨٣) سورة الدخان : آية ٤٩ .

ثم أخبر تعالى عن فضيحتهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد فقال « اليوم نختم على أفواههم » أى فى هذا اليوم -- يوم القيامة ــ نختم على أفواه الكفار ختماً يمنعها ، وعن الكلام « وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » أى تنطق عليهم جوارحهم وأيديهم وأرجلهم بأعمالهم القبيحة • روى ابن جرير الطبرى عن أبى موسى الأشعرى أنه قال « يدعى الكافر والمنافق يوم القيامة للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحده ويقول : أى رب وعزتك لقد كتب هذا الملك على ما لم أعمل ، فيقول الملك : أما عملت كذا فى يوم كذا فى مكان كذا فيقول : لا وعزتك • أى رب ما عملته ، فاذا فعل ذلك ختم على فيه وتكلمت أعضاؤه ثم تلا « اليوم نختم على أفواههم »(٨٤) •

وفى الحديث « يقول العبد يارب ألم تجرنى من الظلم ؟ فيقول : بلى ، فيقول العبد فانى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، ثم يختم على فيه ويقال لجوارحه انطقى ، فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل »(٨٥) •

فضل الله وحلمه على من عصاه

يشير الى ذلك المقطع الآيات من قوله « ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ••• الى قوله ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون » •

الآيات من ٦٦ الى ٦٨

---

(٨٤) تفسير الامام الطبرى جـ ٢٣ ص١٧ •

(٨٥) هذا جزء من حديث أخرجه الامام مسلم •

المفـــردات :

« لطمسنا على أعينهـــم » الطمس : إذهـــاب الشيء وأثـــره جمـــلة كـــأنه لم يوجـــد والمقصود الأعمى الذى ليس فى عينيـــه شـــق •

« فاستبقوا » تسابقوا الى الصراط وبادروا اليـــه •

« فـــأنى » فكيف •

« لمســـخناهم » التحـــويل من صـــورة الى صـــورة منكـــرة وذلك مثـــل تبديلهم حجـــرا أو جمـــادا أو بهيمـــة •

« مكانتهـــم » المـــراد مكانهـــم •

« مضـــياً » يقـــال : مضى يمضى مضـــيا إذا ذهـــب •

« نعمـــره » نطيـــل عمـــره(٨٦) •

« ننكســـه فى الخلق » التنكيس : قـــلب الشيء رأســـاً على عقب يقـــال : نكست الشيء إذا قلبتـــه على رأســـه ومنـــه « ثم نكســـوا على رؤوســـهم »(٨٧) ، والمـــراد : نـــرده فى الهـــرم والكبـــر ، الى مثـــل حـــاله فى الصـــبا ، فـــلا يعـــلم شـــيئا بعـــد العـــلم الذى كـــان يعلمـــه وهـــو النكس(٨٨) •

المبـــاحث البلاغيـــة :

تضمنت هـــذه الآيات الكريمة وجوهـــاً من البيـــان والبديـــع نوجزهـــا فيمـــا يلى :

---

(٨٦) التفسير الواضح جـ ٢٣ ص١٢ .
(٨٧) سورة الأنبيـــاء : آيـــة ٦٥ .
(٨٨) مختصر تفســـير الامام الطبرى بحاشية المصـــحف لأبى يحـــيى التجنى ص٤٤٤ .

١ ــ إيجــاز الحــذف المتمثــل فى حــذف مفعــول المشيئة فى قوله « ولــو نشــاء لطمسنا ... ولــو نشــاء لمسخناهم » .

٢ ــ الكنــاية الدالــة على عمى البصيرة والبصر فى قوله « فاستبقوا الصــراط » .

٣ ــ الطبــاق بين « مضــياً .. يرجعــون » وهــو من المحســنات البديعيــة .

٤ ــ المقــابلة والتضاد فى قــوله « ومن نعمــره ننكسه فى الخلق » .

٥ ــ الاستفهام فى قــوله « أفــلا يعقلون » استفهام إنكارى يقصــد التوبيــخ والتقــريع .

المناســبة :

لمــا بين فى الآيات السابقة أن الجــوارح تشــهد على العبــاد بمــا عمــلوه فى الدنيــا بين فى هــذه الآيات أنــه تفضل عليهــم فأبقاهــا لينتفعوا بهــا فى الدنيــا فلمــا لم يشكروا هــذه النعمــة شهدت عليهــم فى الآخــرة .

شــرح الآيــات :

« ولــو نشــاء لطمسنا على أعينهــم فاستبقوا الصراط فــأنى يبصرون » أى لــو شــئنا لأعميناهم فابتدروا طريقهم ذاهبين كعادتهم فكيف يبصرون حينئــذ ؟ قــال ابن عبــاس : المعنى لــو نشــاء لأعميناهم عن الهــدى فــلا يهتدون أبــداً الى طــريق الحق(٨٩) . وهــو تهــديد لقــريش « ولــو نشــاء لمسخناهم على مكانتهــم » أى لــو نشــاء لمسخناهم مسخاً يقعدهم فى مكانهم « فما استطاعوا مضــياً ولا يرجعون » أى إذا مسخوا فى مكانهم لم يقــدروا أن يذهبوا ولا أن يرجعــوا ، وهــو تهــديد آخــر للكفــرة المجــرمين

---

(٨٩) تفسـير القرطبى ج ١٥ ص٤٩ .

ثم ذكر تعالى دلائل قدرته على مسخ الكفار بتطاول الأعمال فقال « ومن نعمره ننكسه فى الخلق » أى ومن نطل عمره نقلبه فى أطوار منتكساً فى الخلق فيصير كالطفل لا يعلم شيئا • قال قتادة : يصير الى حال الهرم الذى يشبه حال الصبا ، فطول العمر يصير الشباب هرماً ، والقوة ضعفا ، والزيادة نقصاً ، « أفلا تعقلون » ؟ أى أفلا يعقلون أن من قدر على ذلك قادر على إعمائهم أو مسخهم • قال ابن جزى : والقصد من ذلك الاستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار ، كما قدر على تنكيس الانسان إذا هرم(٩٠) •

تنزيه الرسول والقرآن عن الشعر مع اثبات آثار الربوبية الموجبة للاقرار بالوحدانية

ويشتمل على الآيات التالية من قوله « وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو الا ذكر وقرآن مبين ••• الى قوله فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون » •
الآيات من ٦٩ الى ٧٦

المفردات :

« الشعر » كلام موزون مقفى •

« ويحق القول » يثبت •

« مالكون » ضابطون وقاهرون •

« وذللناها لهم » سخرناها لهم •

« محضرون » يدفعون عنهم ويغضبون لهم(٩١) •

---

(٩٠) التسهيل فى علوم التنزيل ج ٣ ص ١٦٦ .

المباحث البلاغية :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع أهمها :

١ ـ أسلوب القصر فى قوله « إن هو الا ذكر وقرآن مبين » وطريقة النفى والاستثناء وهو قصر قلب وهو من قبيل قصر الموصوف على الصفة .

٢ ـ المقابلة « لينذر من كان حياً » الآية قابل بين الانذار والأعذار ، وبين المؤمنين والكفار ، وهو من ألطف التعبير .

٣ ـ الاستعارة فى قوله « من كان حياً » حيث شبه المستجيب لما جاء به القرآن بالحى الذى يستفيد من مقومات الحياة .

٤ ـ الاستفهام فى قوله « أو لم يروا أنا خلقنا ... » للانكار والتعجيب .

٥ ـ الاستعارة التمثيلية « مما عملت أيدينا أنعاماً » الأنعام تخلق ولا تعمل ، ولكنه شبه اختصاصه بالخلق والتكوين بمن يعمل أمراً بيديه ويضعه بنفسه ، واستعار لفظ العمل للخلق بطريق الاستعارة التمثيلية(٩٢) .

٦ ـ ذكر العام بعد الخاص وذلك فى قوله « ولهم فيها منافع ومشارب » بعد قوله « فمنها ركوبهم » الآية وفائدته النعمة ، وتعظيم المنة .

٧ ـ الاستفهام الانكارى للتوبيخ والتقريع « أفلا يشكرون » .

---

(٩١) التفسير الواضح جـ ٢٣ ص١٤ .

(٩٢) انظر حاشية شيخ زادة على البيضاوى جـ ٣ ص١٤٠ .

٨ ــ التشبيه البليغ لحذف أداة التشبيه ووجه الشبه « وهم لهم جند محضرون » أى كالجند فى الخدمة والدفاع .

٩ ــ الطباق بين « يسرون ... يعلنون » وهو من المحسنات البديعية .

المناسبة :

لما تقدم الكلام فى الآيات السابقة عن التوحيد والبعث وهما أصلان من أصول العقيدة شرع يتكلم فى هذه الآيات عن الرسالة والرسول وهو ثالث أصول العقيدة .

شرح الآيات :

يقول تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » أى وما علمنا محمداً الشعر ، ولا يصح ولا يليق به أن يكون شاعراً قال المفسرون : هذا رد على الكفار فى قولهم انه شاعر ، وإن ما أتى به من قبيل الشعر ، فالرسول ﷺ ليس بشاعر ، والقرآن ليس بشعر ، لأن الشعر كلام مزخرف موزون ، مبنى على خيالات وأوهام واهية ، حتى قيل « أعذبه أكذبه » فأين ذلك من القرآن العزيز الذى تنزه عن مماثلة كلام البشر !! وقد أكثر الناس فى ذم الشعر ومدحه ، وإنما الانصاف ما قال الامام الشافعى ــ رحمه الله ــ « الشعر كلام ، والكلام منه حسن ومنه قبيح » « إن هو الا ذكر وقرآن مبين » أى ما هذا الذى يتلوه محمد الا عظة وتذكير من الله ــ جل وعلا ــ لعباده ، وقرآن واضح ساطع لا يلتبس به الشعر بحال من الأحوال « لينذر من كان حياً » أى لينذر بهذا القرآن من كان حى القلب مستنير البصيرة ، وهم المؤمنون لأنهم المنتفعون به « ويحق القول على الكافرين » أى

وتعجب كلمة العذاب على الكافرين(٩٣) لأنهم كالأموات لا يعقلون ما يخاطبون به . قال البيضاوى : وجعلهم فى مقابلة من كان حياً إشعاراً بأنهم لكفرهم ، وسقوط حجتهم ، وعدم تأملهم ، أموات فى الحقيقة .. ثم ذكرهم تعالى بنعمه ، وأعاد ذكر دلائل القدرة والوحدانية ليستدلوا على وجوده جل وعلا من آثاره فقال « أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً » الهمزة للانكار والتعجيب أى أولم ينظروا نظر اعتبار ، ويتفكروا فيما أبدعته أيدينا — من غير واسطة ، وبلا شريك ولا معين — ما خلقناه لهم ولأجلهم من الأنعام وهى الابل والبقر والغنم ، فيستدلوا بذلك على وحدانيتنا وكمال قدرتنا ؟ « فهم لها مالكون » أى فهم متصرفون فيها كيف يشاءون تصرف المالك بماله « وذللناها لهم » . قال ابن كثير : المعنى جعلهم يقهرونها وهى ذليلة لهم لا تمتنع منهم ، بل لو جاء صغير الى بعير لأناخه ، ولو شاء لأقامه وساقه وهو ذليل منقاد معه ، وكذا لو كان القطار مائه بعير لسار الجميع بسير الصغير ، فسبحان من سخر هذا لعباده(٩٤) ! « فمنها ركوبهم ومنها يأكلون » أى فمن هذه الأنعام ما يركبونه فى الأسفار ، ويحملون عليه الأثقال كالابل التى هى سفن البر ، ومنها ما يأكلون لحمه ولا يركبونه كالبقر والغنم « ولهم فيها منافع ومشارب » أى ولهم فيها منافع عديدة — غير الأكل والركوب — كالجلود والأصواف والاوبار ، ولهم فيها مشارب أيضاً يشربون من ألبانها « من بين فرث ودم لبنا

---

(٩٣) تفسير ابن السعود ج ٤ ص٢٦١ .

(٩٤) مختصر ابن كثير ج ٣ ص١٧٠ .

خالصا سائغا للشاربين »(٩٥) • « أفلا يشكرون » أى أفلا يشكرون ربهم على هذه النعمة الجليلة ؟ والغرض من الآيات تعديد النعم واقامة الحجة عليهم • ثم وبخهم وعنفهم فى عبادة مالا يسمع ولا ينفع من الأوثان والأصنام ، وذلك نهاية الغى والضلال فقال « واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون » أى وعبد المشركون آلهة من الأحجار رجاء أن ينصروا بها وهى صماء بكماء ، لا تسمع الدعاء ولا تستجيب للنداء « لا يستطيعون نصرهم » أى لا تستطيع هذه الآلهة المزعومة نصرهم بحال من الأحوال ، لا بشفاعة ولا بنصرة ولا باعانة « وهم لهم جند محضرون » أى وهؤلاء المشركون كالجند والخدم لأصنامهم فى التعصب لهم ، والذود عنهم ، وقائدهم بالروح والمال ، مع أنهم لا ينفعونهم أى نفع • قال قتادة : المشركون يغضون للآلهة فى الدنيا ، وهى لا تسوق اليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً ، إنما هى أصنام والمشركون كأنهم خدام(٩٦) ، وقال القرطبى : المعنى انهم قدرا وهذه الآيات من قدرتنا ، ثم اتخذوا من دوننا آلهة لا قدرة لها على فعل شىء أصلا ، والكفار يمنعون منهم ويدفعون عنهم فهم لهم بمنزلة الجند ، والأصنام لا تستطيع أن تنصرهم(٩٧) « فلا يحزنك قولهم » أى لا تحزن يا محمد على تكذيبهم لك واتهامهم بأنك شاعر أو ساحر ، وهذه تسلية للنبى عليه السلام وهنا تم الكلام ثم قال « إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون » أى نحن

---

(٩٥) سورة النحل : آية ٦٦ .

(٩٦) وهذا القول هو الذى اختاره الطبرى ورجحه ، انظر تفسير الطبرى جـ ٢٣ ص٢٠ .

(٩٧) تفسير القرطبى جـ ١٥ ص٥٦ . بشىء من الاختصار .

أعلم بما يخفونه فى صدورهم ، وما يظهرونه من أقوالهم وأفعالهم، فنجازيهم عليه ، وكفى بربك أنه على كل شىء شهيد ...

مناقشة الكافرين فى انكارهم البعث

يشير الى هذه القطعة الآيات من قوله « أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ... الى قوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » الآيات من ٧٧ الى ٨٣ « آخر السورة »

المفردات :

« خصيم » مبالغ فى الخصومة بالباطل(٩٨) .

« مثلا » المراد ساق قصة عجيبة غريبة كغرابة المثل .

« رميم » الرميم : البالى المفتت يقال رم العظم أى بلى فهو رميم .

« بلى » حرف جواب كنعم الا أنه يختص بالاستفهام الانكارى الذى بمعنى النفى .

« أمره » شأنه فى الايجاد .

« ملكوت » هو الملك التام(٩٩) .

المباحث البلاغية :

١ ــ الاستفهام « أولم ير .... أو ليس » استفهام .

---

(٩٨) كلمات القرآن تفسير وبيان ص٢٥٥ .
(٩٩) التفسير الواضح جـ ٢٣ ص١٦ .
(١٠٠) التفسير الواضح جـ ٢٣ ص١٦ .

٢ ــ « فــاذا هــو خصــيم مبين » جمــلة داخــلة فى حيــز الانكار والتعجب كــأنه قيــل : أولــم يــر الانسان أنــا خلقناه من أخس الأشــياء وأحقرهــا ففاجأنا بالخصومة فى أمــر يشــهد بصــحة مبــدأ خلقــه شــهادة بينــه(١٠٠) .

٣ ــ صــيغة المبالغة « خصــيم مبين ... الخلاق العــليم » .

٤ ــ الاستعارة التمثيلية « أن يقــول لــه كــن فيكون » شبه سرعة تأثــير قــدرته تعــالى ونفاذهــا فى الأشياء ، بأمــر الآمــر المطــاع من غــير توقف ولا امتنــاع ، فــاذا أراد شــيئاً وجــد من غــير إبطــاء ولا تأخــير وهــو من لطــائف الاستعارة(١٠١) .

٥ ــ صــيغة مبالغة « ملكــوت » المــلك ومعنــاه المــلك الواســع التــام مثــل الجبروت والرحموت للمبالغة .

المناســبة :

بعــد أن بين بطــلان اشراكهم بالله بالأدلــة الشاهدة شــرع يبين بطــلان انكارهم للبعث مقــرراً ذلك بالأدلة القاطعة .

ســبب النــزول :

أن أبى بن خــلف ، أتى النبى ﷺ بعظــم حــائل فقال يا محمد أترى الله يحيى هــذا بعــدما قــد رم فقال : نعــم ويبعثك ويدخلكم فى النــار فأنزل الله تعــالى هــذه الآيات « وضرب لنــا مثــلا ونسى خلقــه قــال من يحيى العظــام وهى رميــم »(١٠٢) .

---

(١٠١) انظــر تلخيص البيان فى مجازات القــرآن للشريف الــرضى جـ ١ ص١٩٢ .

(١٠٢) اسباب النزول للواحدى ص٢٧٤ .

روى أن « أبى ابن خلف » من صناديد كفار قريش جاء بعظم بال الى النبى ﷺ ففتته بيده ثم قال : أتزعم يا محمد أن الله يحيى هذا بعدما رم ؟ فقال له النبى ﷺ نعم يحييه ، ثم يبعثك ويدخلك النار فنزلت الآية(١٠٣) .

شرح الآيات :

فى هذه الآيات أقام سبحانه الدليل القاطع ، والبرهان الساطع ، على البعث والنشور فقال « أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة » استفهام إنكارى للتوبيخ والتقريع أى أولم ينظر هذا الانسان الكافر نظر اعتبار ، ويتفكر فى قدرة الله فيعلم أنا خلقناه من شىء مهين حقير هو النطفة « المنى » الخارج من مخرج النجاسة ؟ « فاذا هو خصيم مبين » أى فاذا هو شديد الخصومة والجدال بالباطل ، يخاصم ربه وينكر قدرته ، ويكذب بالبعث والنشور ، أفليس الاله الذى قدر على خلق الانسان من نطفة ، قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث ؟ قال المفسرون : نزلت فى « أبى بن خلف » جاء بعظم رميم ، وفتته فى وجه النبى الكريم وقال ساخراً أتزعم يا محمد أن الله يحيينا بعد أن نصبح رفاتاً مثل هذا ؟ قال ﷺ له : نعم يبعثك ويدخلك النار ، وقال أبو حيان : وقيل إنها نزلت فى « العاص بن وائل » والأصح أنها فى « أبى بن خلف »(١٠٤) ، ثم قال بعد ذلك « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » أى وضرب لنا هذا الكافر المثل

---

(١٠٣) انظر تفسير القرطبى جـ ١٥ ص٥٨ ، والبحر المحيط جـ ٧ ص٣٤٨ .

(١٠٤) البحر المحيط جـ ٧ ص٣٤٨ .

بالعظم الرميم مستبعداً على الله إعادة خلق الانسان بعد موته وفنائه ، ونسى أنا أنشأناه من نطفة ميتة وركبنا فيه الحياة ، نسى خلقه العجيب وبدأه الغريب وجوابه من نفسه حاضر « قال من يحيى العظام وهى رميم » أى وقال هذا الكافر : من يحيى العظام وهى بالية أشد البلى ، متفتتة متلاشية . قال الصاوى : أى أورد كلاما عجيباً فى الغرابة هو كالمثل ، حيث قاس قدرتنا على قدرة المخلق(١٠٥) « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » قل يا محمد تخريبا وتبكيتاً لهذا الكافر وأمثاله : يخلقها ويحييها الذى أوجدها من العدم ، وأبدع خلقها أول مرة من غير شىء ، فالذى قدر على الاعادة « وهو بكل خلق عليم » أى يعلم كيف يخلق ويبدع ، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد الفناء « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً » أى الذى جعل لكم بقدرته من الشجر الأخضر ناراً تحرق الشجر ، لا يمتنع عليه فعل ما أراد ، ولا يعجزه إحياء العظام البالية واعادتها خلقاً جديداً(١٠٦) . قال أبو حيان : ذكر تعالى لهم ماهو أغرب من خلق الانسان من النطفة ، وهو إبراز الشىء من ضده ، وذلك أبدع شىء وهو اقتداح النار من الشىء الأخضر ، ألا ترى الماء بطفىء النار ومع ذلك خرجت مما هو مشتمل على الماء ، والعرب تورى النار من المرخ والعفار ، وفى أمثالهم « وفى كل شىء نار ، واستمجد المرخ والعفار »(١٠٧) ، ولقد أحسن القائل :

---

(١٠٥) حاشية الصاوى على الجلالين جـ ٣ ص٢٣١ .

(١٠٦) تفسير الطبرى جـ ٢٣ ص٢١ .

(١٠٧) البحر المحيط جـ ٧ ص٣٤٨ .

جمـع النقيضين من أسـرار قـدرته
هـذا السحاب بـه مـاء بـه نـار

« فـاذا أنتـم منـه توقدون » أى فـاذا أنتـم تقدحـون النـار من هـذا الشـجر الأخضـر « أوليس الذى خلق السموات والأرض بقـادر لى أن يخـلق مثلهـم » ؟ أى أوليس الذى خـلق السموات والأرض مع كبـر جرمهما ، وعظـم شأنهما قـادر على أن يخـلق أجسـاد بنى آدم بعـد فنائها ؟ « بلى وهـو الخـلاق العـليم » أى بـلى هـو القـادر على ذلك ، فهـو الخـلاق المبدع فى الخـلق والتكوين ، العليـم بكـل شىء « انمـا أمـره اذا أراد شـيئا أن يقـول لـه كـن فيكـون » أى لا يصعب عليـه جـل وعـلا شىء لأن أمـره بين الكـاف والنـون ، فمتى أراد تعالى شيئا وجـد بدون تعب ولا جهـد ، ولا كلفـة ولا عنـاء .. فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء .. أى تنزه وتمجـد عن صفات النقص الالـه العظيـم الجليـل ، الذى بيـده المـلك الواسع ، والقـدرة التـامة على كـل الأشياء « واليـه ترجعـون » أى واليـه وحـده مرجع الخـلائق للحسـاب والجـزاء ...

الخاتمـــــة

وبعـــد .. فمن خـلال النظـر لسـورة « يـس » يتجـلى لنـا أنهـا متناسقة متناسبة متآخيـة الآيـات ومتناسقة الفقـرات كمـا تتجـلى لنـا الوحـدة الموضوعية كغيرهـا من الصور القرآنية إذ أنهـا تنـاولت أصـول العقيـدة واقـامة الأدلـة القاطعة على وحدانية الله رب العالمين ووجـوب إفـراده بالربوبية ، ففيما يتعلق بأصـول العقيدة الثـلاث كانت على النحـو التـالى :

(أ) الألوهيـات : وقـد تحدثت السورة فى هـذا الجانب عن بعض مظـاهر قـدرته سبحانه فى إحيـاء الأرض بعـد موتها ، وتعـاقب الليـل والنهـار ، ومشارق الشموس والأقمار ، وتسييرهم فى البـر والبحـار ، كمـا أشـارت الى العهـد الذى أخـذه الله على بنى آدم وهـم فى ظهـور آباءهـم أن يعبدوه وحـده وألا يعبدوا الشيطان • قـال ـ جـل ذكره ـ : **« ألـم أعهـد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنـه لـكم عـدو مبين وأن أعبدونى هـذا صرط مستقيم »** •

(ب) فى مجـال الرسـل والرسالات : أشـارت السـورة الى رسـالة محمـد ﷺ وأنـه يدعـوا الى الصرط المستقيم وأن مهمتـه الانـذار والتبشير ، وضربت المثـل باشـارة موجـزة بقصة أصحاب القـرية الذين أرسـل الله إليهـم طائفـة من رسـله فكذبوهـم واستهزءوا بهـم فأهلكوا ، وتقـرر السـورة قضـية كليـة وذلك فى قـوله تعـالى : **« يا حسرة على العبـاد ما يأتيهم من رسـول إلا كـانوا بـه يستهزءون »** •

أمـا الرسالات وهى تتمثل فى الكتب المنـزلة على الرسـل وكان خاتمهـا القـرآن الكريم وقـد أقسـم الله بـه فى أول السـورة وبين أنـه حـكيم قـد أحكمت آياته كمـا بين فى آخـر السـورة

أنه متنزه عن الشعر إنما هو الذكر والقرآن أن يكون شاعراً كما يشير الى ذلك قوله : « **وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو الا ذكر وقرآن مبين** » .

(ج) كما تحدثت السورة عن اليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار : فأقامت الأدلة الكونية والأدلة الأنفسية على إثبات البعث . فمن الأدلة الآفاقية احياء الارض الميتة وإخراج الحب والجنات والأعناب منها ، ومن الأدلة الأنفسية خلق الانسان والسموات والأرض ابتداء فمن خلقها وأنشأها أول مرة قادر على إعادة انشاءها مرة ثانية وبينت أن أمره سبحانه وتعالى بين الكاف والنون وأنه إذا أراد شيئا أوجده بدون كد أو جهد فهو سبحانه بيده ملكوت كل شيء واليه يرجع كل شيء حيث قال سبحانه « **فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** » وهكذا ختم الله تعالى السورة الكريمة بهذا الختم الرائع ؛ الدال على كمال القدرة ، وعظمة الملك والسلطان ، الذى تفرد به خالق الأكوان .

وهكذا نجد السورة الكريمة يؤسس أولها لآخرها ، ويؤكد آخرها لأولها ، فتأخذ القلوب والعقول بأسلوبها المعجز وأدلتها الدافعة لتقود صاحبها الى الايمان الصحيح بأسلوب سهل واضح معجز رصين كيف لا وهى سورة من سور القرآن الحكيم الذى نزل على سيد المرسلين الداعى الى الصراط المستقيم وهو تنزيل العزيز الرحيم ..

نسأل الله تعالى أن يبارك لنا فى هذا القرآن العظيم وأن ينفعنا فى الدنيا والدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهـــــرس

الموضـــــوع	الصفحة
مقـــــدمة :	
ـ ابن بســام ناقـــدا :	
دكتـــور محمـــود جمعـــة أمين ـــــــــــــ	١ ـ ٦٢
ـ المسائل النحـــوية والصرفية فى ريحانة الألبـا وزهـــرة الحيـــاة الدنيـــا للشهاب الخفاجى : دراسة ونقـــدا :	
دكتـــور مبروك عطية أحمـــد ابو زيـــد ـــــــــــــ	٦٣ ـ ١٠٣
ـ الصـــور الخيالية بين الرومانتيكية والرمـــزية :	
د. محمـــد الأمـــير محمـــد الســـيد ـــــــــــــ	١٠٥ ـ ١٣٨
ـ فتح همزة أن وكسرها بين القراء والنحاة فى سورة الجن :	
دكتور مبروك عطية احمـــد ابو زيـــد ـــــــــــــ	١٣٩ ـ ١٦٢
ـ تفســـير ســـورة الانســـان :	
د. أحمـــد محمـــد على عثمـــان ـــــــــــــ	١٦٣ ـ ٢٢٢
ـ دور الشعر فى معركة الدعـــوة وما تلاهـــا من معـــارك الاســـلام :	
د. صـــالح ربيعى عـــزب ـــــــــــــ	٢٢٣ ـ ٢٦٨
ـ الرســـول ﷺ فى الأدب العـــربى الحـــديث :	
د. فـــؤاد حمـــد صـــبره ـــــــــــــ	٢٦٩ ـ ٣١٤
ـ ابن عبد ربـــه وكتابه العقد الفريد ـ دراســـة وتحقيق لبعـــض النصـــوص :	
د. عبد القـــادر رزق الطـــويل ـــــــــــــ	٣١٥ ـ ٣٦٨
ـ قيمـــة ايحـــاء الكلمـــة فى الشـــعر العـــربى :	
د. عـــلى محمـــدين مـــوسى ـــــــــــــ	٣٦٩ ـ ٤٠٦
ـ تفســـير آيات الطـــلاق فى ســـورة البقـــرة :	
د. محمـــد زين العابدين مصطفى ـــــــــــــ	٤٠٧ ـ ٤٦٠
ـ قصـــيدة عائشـــة التيمورية فى رثـــاء ابنتهـــا :	
دكتـــورة منى محمـــد على عيـــد ـــــــــــــ	٤٦١ ـ ٥٣٦
ـ خلاصـــة اقـــوال المفسرين حـــول ســـورة ياســـين :	
د. محمـــد زين العابدين مصطفى بدوى ـــــــــــــ	٥٣٧ ـ ٥٩٤

رقم الايداع
٩٢ - ٦٢٣١

* مطبعة زهران *
٤ ش حمام المصبغة - الأزهر
ت : ٩٠٧٥٥٤